

الدكتور محمد ناصر بن حجاج

الرؤية الأسيائية

في كتاب

أبي مسلم الرافعي
عنه

نشر جمعية التراث، القاهرة

ربيع الأول 1418 - جويلية 1997

الرؤية الإسلامية في كتاب

(أبو مسلم الرواحي حسان عمان)

الدكتور

محمد بن قاسم ناصر بوحجّام

نشر جمعية التراث - القرارة - محرر ١٤٣٢ هـ / ماي ١٩٩٧ م

المطبعة العربية // ، نصح طالبي احمد - لخرحاية

الماتخم، 53 . 36 . 88 / 34 . 34 . 87

ردمك: 9961-908-24-4 I.S.B.N. :

الايداع القانوني : رقم 97/510

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقْدَمَةٌ

لم يُخلَق الإنسان عبثاً، بل خُلِق ليُؤدِّي رسالة، ويحمل أمانة. ولم تُسخر له النعم ظاهرة وباطنة، ولم يُؤت ما سأل... إلّا ليقوم بواجبه؛ بما يثبت حقيقة استعمار الله له الأرض، وبما يحقق خلافته الله فيها.

إنَّ قيمة الإنسان تتوقف على ما يفقهه من هذا الواجب، وما يعيه من هذه الرسالة، وما يقدمه من جلال الأعمال، وما يسجله من عظام الأفعال.

الأديب الملتزم بهذا الخطّ، المتشبع بهذه الروح. والدارس المتقيد بهذا المفهوم، الصادر عنه في أبحاثه. هذان القطبان اللذان يتشأن بهنّه المواصفات يسهمان في حمل الأمانة وأداء الرسالة بكلّ جدارة. وهما اللذان ينجحان في رسم معالم الطريق المستقيم والنهج السليم، الذي يعين على نشر القيم الحسنة، وإذاعة الأخلاق الفاضلة.

وقد أثبتت الممارسة العملية سلامة هذا التوجه. ولنا مثال للأديب الناجح في أديبه: «أبو مسلم الرواحي» ومثال للباحث الموفق في دراسته: «د. محمد ناصر»، فالأدب الإسلامي يتمثل في نظم الأول، والرؤية الإسلامية تتجسّد في دراسة الثاني وتحليله. ولإبراز هذه الحقيقة قمنا بعرض كتاب الدكتور: محمد بن صالح ناصر: «أبو مسلم الرواحي حسان عمان» من دون التعمّق في التحليل والنقد؛ لأنّ غرضنا كان تقديم صورة أو نموذج للتساؤل الإسلامي للآثار الأدبيّة، التي تتحلّى بهنّه الروح، وتلك التي تحمل رسالة؛ لتكون مثلاً يحتذى في هذا المجال،

عسانا نسهم في دفع قافلة الدراسات الإسلامية إلى الأمام، وفي إرساء قواعد لكتابة الأدب الإسلامي أو إنتاجه.

ين يدي هَذَا العرض قَدْ مَنا تعريفًا بالباحث الدكتور: مُحَمَّد ناصر؛ حتى يتعرَّف عليه القراء، وَعَلَى بعض جهوده في خِدمة الثقافة الإسلاميَّة الأصيلة. وأعقبنا العرض ببعض الملاحق التي نراها مكمِّلة له: الملحق الأوَّل هو رسالة بعث بها أبو مسلم الرواحي إلى إمام المسلمين بعمان: سالم بن راشد الخروصي، وهي تحمل دلالات فكرية واجتماعية وسياسية عميقة.

الملحق الثاني: عبارة عن نماذج من شعر أبي مسلم الرواحي.

الملحق الثالث: عبارة عن خواطر لنا سجَّلناها سنة: 1991م عن الشعر العُماني الذي هو في حاجة إلى دراسة. علاقتها بهذا العرض علاقة تكامل؛ إذ عُنيَت — كما جاءت دراسة الدكتور مُحَمَّد ناصر — بالكشف عن قيمة الأدب العُماني، والدعوة إلى دراسته، والتفت معها في الرؤية والموقف من هَذَا الأدب. كما أنَّنا في الخواطر عرضنا مجموعة من الأسئلة وجَّهناها إلى الباحثين للاهتمام بدراسة الأدب العُماني...

الملحق الرابع: قَدْ مَنا فيه قائمة بمؤَلَّفات الدكتور مُحَمَّد ناصر وأبحاثه ودراساته. ونسجِّل هنا أنَّ هناك بعض العناوين لم تَمكَّن من الوصول إليها، لإتباتها في هَذا القائمة.

وفَقَّنا الله إلى ما يَحبُّه ويرضاه.

باتنة: يوم الثلاثاء 11 جمادى الأولى 1417هـ/ 24 سبتمبر 1996م

(الدكتور: مُحَمَّد بن قاسم ناصر بوجمَّاه)

معهَد اللغة العربيَّة وآدابها.

جامعة باتنة

نبذة من حياة الباحث

الدكتور محمد بن صالح ناصر شاعر وناقد وباحث ومحقق، ورجل اجتماعي، يعنى بقضايا مجتمعه، يكلؤها بعنايته، ويرعاها بتوجيهاته ونصائحه، يعالجها بقلمه، ويشارك في حلها برأيه. لم تمنعه رتبته العلمية العالية من النزول إلى المجتمع، يتحسس مشاكله، يجلس إلى الأرملة يسمع شكواها، ويقرب من اليتيم يفرج عنه همومه، يدنو من صاحب الحاجة، يقضي له مآربه، يؤم المراكز والمجالس العامة لتوجيه الشباب، وتوعية العامة، وإرشاد من يسترشده في دينه أو في دراسته، ويلج كل ميدان يرى نفسه قادرة على الدخول فيه، وتقديم يد المساعدة لمن يطلبها. يمتاز بالتواضع والأخلاق الإسلامية العالية، ويتميز بالنشاط والجدية في العمل، كما يهتم بنشر التراث وتحقيقه. وله الفضل في تأسيس جمعية التراث التي مقرها مدينة القرارة، وهو يعد العصب المحرك لكل أنشطتها، وهو رئيس مجلسها العلمي.

الدكتور محمد بن صالح ناصر، ولد في مدينة القرارة (ولاية غرداية، الجزائر) سنة: 1938م، تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة الحياة الابتدائية بالقرارة، بعد استظهاره القرآن الكريم، التحق بمعهد الحياة الثانوي (القرارة) تخرج فيه سنة: 1959م.

أمضى في مدرسة الحياة معلماً ثلاث سنوات. التحق بجامعة القاهرة قسم اللغة العربية سنة: 1962، تخرج فيه سنة: 1966 بشهادة الليسانس في الآداب. رجع إلى القرارة ليلتحق بأسرة التعليم في معهد الحياة الثانوي في أكتوبر 1966 بقي فيه إلى جوان 1971؛ بعد المعهد انضم إلى قسم اللغة العربية وثقافتها، كلية الآداب جامعة الجزائر يشتغل فيه مدرّساً، غادر معهد اللغة والأدب العربي سنة: 1991م.

في جوان 1972م تحصل على شهادة دكتوراه الحلقة الثالثة من قسم اللغة

العريّة وثقافتها جامعة الجزائر. وفي يوم: 27 أكتوبر 1983م تحصلّ على درجة دكتوراه دولة من معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر؛ بملاحظة مشرّف جداً، مع تهنئة لجنة المناقشة وتوصيتها بطبع رسالته على نفقة الجامعة، ومبادلتها مع الجامعات العريّة.

في شهر نوفمبر 1991م انتقل إلى مسقط (سلطنة عُمان) للتدريس في معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد، وما يزال.

الدكتور محمد ناصر غزير الإنتاج، وجادّ في مجال البحث والدراسات، نشير في عدّة جرائد ومجلاّت وطنية جزائرية بمخاسة: كالثقافة، والأصالة، والرسالة، الموافقات، الترية، الرؤيا، الشعب، النصر، الجمهورية، المساء، المجاهد الأسبوعي، أضواء وغيرها... كما نشر في الجرائد والمجلاّت غير الجزائرية: كالحياة الثقافية التونسية، والنهضة، وعمان، والسراج، والشبيبة (العُمانية) والحياة اللندنية، والعالم وغيرها...

شارك في عدّة ملتقيات، وحاضر في مختلف الأسابيع الثقافية التي أقيمت في مختلف المدن الجزائرية، وأقام عدّة أمسيات شعرية، وأذاع عدّة أحاديث في الإذاعة والتلفزة، بمخاسة في سلطنة عُمان.

اهتماماته في الكتابة متعدّدة. وقد اتّجه في المنة الأخيرة إلى ميادين الدراسات الإسلامية، والأدب الإسلامي، وتحقيق التراث، وأدب الأطفال...

من خلال هذِهِ البطاقة التعريفية التي قلّمناها عن حياة الدكتور محمد ناصر نكشف لنا المشوار الطويل الذي قطعه في درب التحصيل والتعلّم، وتظهر جهوده الكبيرة في خدمة العلم والمعرفة، والإسهام في النهوض بالمجتمع.

هكذا يجب أن يكون العالم، يجب أن لا يركنه علمه في زاوية، بينما مجتمعه في حاجة ماسة إليه، وأن لا يتعالى عليه وهو منه؛ فيقع في برجه العاجي، لا يُعبر اهتماما لحاجاته وقضاياهُ. الأمر ينطبق على الأديب أيضا. وفي هذا يقول د. محمد

ناصر: «إنَّ الأدب في المنظور الإسلامي لا يكتمل إلا من خلال رسالة يحملها، ومسؤولية ينهض بأعبائها؛ لأنَّ الله إنَّمَا خَلَقَ الإنسان ليؤدِّي رسالة خَلِيق من أجلها... ولا تَنِيَمُ رسالة الأديب المسلم إلا إذا كان واعياً برسائله الحضارية هذه، حاملاً بين جنبيه قلباً يفيض بالحبَّة والإشفاق لِكُلِّ إخوانه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، يشجى لآلامهم، وينبذ بأعدائهم، ويكشف عوار الخونة والمنافقين...

... إنَّ هَذَا الشعور الفَيَّاض، بل أقول إنَّ هَذَا الوعي من الأديب المسلم هو وحده الكفيل بمدَّ جسور الحبَّة والتفاعل بينه وبين المتلقين...»^(١)

هذه بعض المعالم في مسيرة أستاذنا الكبير، الثقافية، والاجتماعية، الذي نحني له إجلالاً لأخلاقه وعلمه وإخلاصه في خدمة التراث، والأخذ بأيدي الشباب إلى حيث الصلاح والفلاح.

إنَّ أستاذنا كان عند حسن ظنِّ آبائه ومشايخه، وكلِّ من تفرَّس فيه خيراً، وأسدَّى إليه نصيحاً؛ حين كان يلرج في مدارج العلم؛ كما فعل الشيخ حمو بن عمر ثَقْمَان (ت: 1965) الذي أرسل إليه رسالة تهئة بمناسبة استظهاره القرآن الكريم سنة: 1954. قال له فيها: «... أتَرَى عَمَّد إلى أيِّ حَدِّ تَحْفُكُ النعمة، فحافظ عليها بالشكر وبالحرص والقيام بالواجب. فإنَّ عجلة الدنيا تلور بسرعة. فعمَّاً قريب نصيح في صفوف الرجال الأمامية، فإن تزوَّدت بالسلاح الكافي من العلم والأخلاق، كنت جديراً بالسيادة، وإن أضعت العمر في اللعب؛ خسرت مرتين: خسرت العمر وخسرت قيمتك في هذا المجتمع.

محمد، اقرأ جوابي مراراً، ثمَّ احفظه كسورة، ثمَّ افهمه، ثمَّ اعمل به، ثمَّ لا

١ - د. محمد ناصر: خصائص الأدب الإسلامي، ط١، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السَّيْب، سلطنة عُمان، 1993م، ص: 22-23-24.

أحبُّ منك أن تقف عند حدود جوابي، بل أريد منك أفقًا متَّسعًا، ودائرة
أوسع؛ حتى تُسدي إلينا النصائح والدروس والإرشاد، فيثمر غرسنا، ونجني منه
ثمرة للذيلة...^(١)

هكذا أثمر غرس أساتذة الدكتور، فجنينا منه نحن ثمارًا للذيلة والحمد لله. هلاً
اقتدينا به: طلبة وأساتذة، وحاملي لواء العلم، وموجهي المجتمع، ورافعي راية
الأصالة والمعاصرة. نرجو ذلك.
والله وليُّ التوفيق والهداية.



١ - الرسالة تقع في خمس صفحات، مؤرَّخة هكذا: الجزائر يوم: 13 فيفري 1954م.

مع كتاب «أبو مسلم الرواحي حسان حمان» معرض وتعليق

ما أحوجنا اليوم إلى دراسات أدبيّة نقدية هادفة، تنبع من أصالة ما ينبغي أن يسود مجتمعاً ما أو أمة ما، تحكمها مبادئ متميزة، وفلسفة خاصة، وتسيرها أو توجهها قوانين وقواعد أساسية ثابتة، لا تتغير بتغير الزمن، إلا بقل ما يمنحها الحيوية، ويضمن لها الحياة، وفق سنن التطور، من دون أن يصيبها في عمقها وجوهرها.

دراسات تراعي خصوصيات الأمة وثوابتها، تنظر إلى المتغيرات بعين فاحصة وبصيرة يقظة، تتعامل معها بما يعين على الاستفادة منها في جانبها الإيجابي، غير مستسلمة لها إلى درجة الذوبان فيها.

دراسات تحصّن بالثقافة الأصيلة: تعمّق المبادئ، وتشتبّع بالأصول، وتعلّق بالأهداف... ثم تفتتح على الثقافات الأخرى؛ لتستفيد منها وتفيد.

دراسات تميّز بخصوصيتها وشخصيتها؛ لتتمكن من التحكّم في توجيه الدراسات توجيهها يتلاءم مع مبدأ الالتزام والحفاظ على الأصالة، وذلك باختيار الرأي الأصيل، المبني على الوضوح والإقناع، وانتقاء المناهج المنسجمة مع الهدف من الدراسة، والغاية من البحث؛ حتى لا تفرّق بها السبل، فتشرق وتغرب، وتلوّن بألوان الأوضاع الآنية، وتقع تحت تأثير السياسات المهيمنة المستبدّة، وتنبهر بأصباغ التيارات المستحدّة المختلفة...

هَذَا ما نفتقده في كثير من الدراسات التي قدّمها أبناء الأمة الإسلامية الذين يُفترض فيهم أن يكونوا في مستوى رسالتهم المسؤولة؛ فيتناولوا أدبهم بطريقة تخدم

أهدافهم التي هي أهداف الإسلام. وَهُوَ ما يفرض عليهم أن يعالجوا الأدب عَلَى أسس أنه موقف ورؤية ومبدأ ومسؤولية، ومن منطلق أنَّ ما يحكم تجارب الأدباء صفات ثلاث: إيمان وعمل صالح وانتصار للإسلام، كما حدثت ذلك الآية الكريمة ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١).

وَهُوَ ما أشار إليه الدكتور محمد ناصر: «... يمكن أن يُعبَّر عنها بالمصطلح المعاصر الالتزام بقيم الإسلام: وعي وعقيدة راسخة، مع عمل صالح، مع موقف ثابت»^(٢).

هَذِهِ الملاحظات التي ذكرناها هي - في الحقيقة - ما بدأنا نجد له تجسيدا عَلَى أرضية الدراسات الأدبية الحديثة، وَهُوَ ما اصطُلِحَ عَلَى تسميته بالأدب الإسلامي. إِنَّ هَذَا يَشْرُ بَخِير، نرجو أن تكرر هَذِهِ الدراسات؛ حَتَّى نقف في وجه من يسعى إلى تشويه ثقافتنا وتزييف أدبنا، وتصدَّى لمن يحاول الانحراف بأدبائنا ودارسينا ونقَّادنا عن سواء السبيل؛ بإبعادهم عن أصولهم، التي ينبغي أن تحكم حياتهم ومنطلقاتهم في البحث والدراسة والإبداع.

من هَذِهِ الدراسات الحديثة الجادة؛ دراسة أستاذنا الدكتور محمد ناصر المَوْسُومَة بِر: «أبو مسلم الرواحي حَسَّانُ عُثْمَان» (ت: 1920) التي صدرت الطبعة الأولى منها سنة: 1416هـ / 1996م عن مطابع النهضة. بمسقط (سلطنة عُمان). دراسة حاول من خلالها تقديم نموذج تطبيقي للأدب الإسلامي، وكيف يجب أن يُنْزَرَسَ أو يُتَسَاوَلَ الأديبُ المسلمُ الملتزم، بعد أن قَدِمَ في مجال التنظير أربع دراسات هي:

1 - سورة الشعراء، الآية: 227.

2 - خصائص الأدب الإسلامي، ص: 16.

1- ما أحوجنا إلى أدب إسلامي.

2- خصائص الأدب الإسلامي.

3- ردة أم حداثة.

4- حداثة بلا قناع.

وإلى جانب دراسة شعر أبي مسلم الرواحي، قدم بحوثاً ودراسات ومقالات عن حوالي عشرة أدباء عُمانيين بالطريقة نفسها والمنهج عينه.

كتاب: «أبو مسلم الرواحي حسان عُمان» توزعته الموضوعات الآتية: مقلّعة، من هو الشاعر أبو مسلم؟، أبو مسلم أدبياً لامعاً، أبو مسلم فقيهاً، العقيدة في شعره، الإسلام في شعره، هل كان قومياً؟، الابتهاال في شعره، المدائح النبوية، قصيدة الابتهاال في جانبها الفني، الاستنهاض في شعره، الحنين في شعره، الحكمة في شعره، الرثاء في شعره، أثر القرآن في شعره، الأسلوب الخطابي...

بعد التقديم الذي تفضّل به سماحة مفتي سلطنة عُمان الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، وذكر الدكتور محمد ناصر لأسباب اختياره شعر أبي مسلم موضوع دراسته، تساءل في البداية عن الشاعر أبي مسلم ومكاته؛ لأنّه لحظ أنّ الشاعر ظلّ مجهولاً في الشعراء الإسلاميين، بل أبدى اندهاشه ومفاجأته بجهل به يكاد يكون مطبقاً عند الأقربين من أبناء عُمان أهل موطنه، وبخاصّة مسيرته الشعرية وإسهاماته الأدبية والفكرية. رغم أنّ الشاعر يتبوأ مكانة مرموقة، ويحتلّ مكاناً متميّزاً بين الشعراء الإسلاميين، إذ أنّه «إسلامي في رؤاه وفي مواقفه وفي أدواته الفنية، وبذلك يستحقّ أن يكون رائداً لمدرسة إسلامية في الشعر العربي الحديث» (ص 7).

شاعر بهذا النمط من الكتابة الفنية وبهذا الطراز من التفكير، وبهذه الروح العالية من العمل الملتزم... يبقى غير معروف، وغير محترف به وبأعماله، بل غير

منظور إليه، يسجل على معشر الأدباء والكتاب، وبخاصة بني عمومته في عمان، تقصيراً وتفاعساً، ويجعل كاهل المثقفين الإسلاميين مثقلاً، وذمتهم غير بريئة، حتى يقوموا بواجب التعريف بهذه الشخصية، وأمثالها من الشخصيات العُمانية المرموقة الكثيرة؛ لإنصافها وتقدير جهودها وأعمالها، وإفادة الأجيال الأخلاف بمكامن العبر في حياتها، يقول الشيخ أحمد بن حمد الخليلي: «ولا ريب أنَّ كلَّ من عرف أبا مسلم حقَّ المعرفة من الأدباء، يورِّق ليله ويقضُّ مضجعه هاجسُ الضمير الذي يدعو بالخاص إلى وفاء هذا الدِّين؛ لذلك استجاب لهذا الداعي وتجرَّد لهذا الواجب أحنونا الأديب الحاذق الأستاذ الدكتور محمد صالح ناصر، بدافع غيرته على الإسلام وأدبه، ولعمري إن كاهله لجدير بأن يحمل هذا العبء ليكفي بذلك نظرائه من الأدباء الإسلاميين مسؤولية إهمال هذا الواجب...» (ص: ج).

في بداية الحديث عن أبي مسلم والإجابة عن التساؤل المعروض: من هو الشاعر أبو مسلم؟، قدّم الدكتور ما توفّر لديه من معلومات حول نسبة وتاريخ ميلاده، والبيت الذي نشأ فيه، والرعاية الربّانية التي أحاطت به، إذ وُجد في بيت أو وسط أسرة كريمة، عرفت بالصلاح والعلم، وهُوَ ما أعانه على التحصيل الحسن، والتكوّن الجيّد والتربية الفاضلة، وكعادة من نشأ في الوسط العُماني، كان تكوينه شرعيّاً ولغويّاً، يقول الدكتور: «وكانت البيئة والعصر مساعدين على نبوغ أبي مسلم؛ إذ شاع بينهما الأدب وازدهر الشعر، فاشتهر غير واحد من الأدباء، نذكر منهم على سبيل المثال حميس بن سليم في مدينة «سمائل»، ومنهم الشاعر صاحب الغزل الرقيق ابن شيخان، الذي يكاد يعتبره الدارسون في مرتبة أبي مسلم» (ص: 9).

وقد كان نبوغ الشاعر أبي مسلم مبكراً، حيث بدأ قرض الشعر وهُوَ في الخامسة عشرة من عمره، وعلى غرار كثير من العُمانيين شدَّ الرحال إلى زنجبار في شرق إفريقيا، وهُوَ دون العشرين من عمره، ومكث فيها خمس سنوات، رجع

بعدها إلى عُمان، ثم عاد إليها من جديد، وألقى بها عصى الترحال، واستوطنها وأكْبَّ فيها على تكوين نفسه بعصامية كاملة: «واستهوته فيما استهواه كتب الفقه والأدب، وما لبث أن بزغ واشتهر أمره قاضيا نبيها، وعالمًا فقيها، وأديبًا لامعًا» (ص: 11).

وقد كان من بين أعماله في زنجبار إصداره جريدة «النجاح» التي تعدُّ من أولى الصحف العربية صُورًا أو ظهورًا، يقول الدكتور: «وهذا العمل يدلُّ على أفق هذا الرجل وتفتُّحه الواسع على الأحداث من حوله، وتطلُّعه إلى التعريف بالفكر الإسلامي والاستفادة من هذا الفن الذي لم يكن يعرفه الكثير من المثقفين العرب آنذاك» (ص: 12، 13).

هذِهِ بعض المعالم التي تميِّز شخصية أبي مسلم، فهي تنمُّ عن مكانة هامة، وتكشف عن منزلة مرموقة... وهو ما يغري الباحث الجادَّ لينطلق ويتحرَّك كي يسير غور هذا الرجل، فيحصل على المزيد من مكامن العظمة فيه، خاصَّةً وأنَّه كان متعلِّدًا أوجه النشاط، وكثير التحرُّك، وصاحب أعمال جليلة جمَّة...

يقول الدكتور عنه: «وهكذا ظلَّ بين وظيفة القضاء عاملاً، ومطولات الفقه مجتهدًا، وأمَّهات كتب الأدب والشعر أديبًا لامعًا، وجريدة النجاح صحفيًا ناجحًا، وبين بعض طلابه الذين تلقَّوا عنه مربِّيًا حانيًا إلى أن توفَّاه الله في اليوم الثاني من شهر صفر 1339هـ عن عمر يقارب ثلاثًا وستين سنة، قضاهما مجتهدًا يعمل في سبيل العلم والعقيدة والأخوة الإسلامية، ودفن حيث مات في مدينة زنجبار التي يوجد بها قبره إلى اليوم» (ص: 13).

مع ما قدَّمه الدكتور، فإنَّنا نسجِّل — كما سجَّل هو أيضًا — أن المعلومات عن حياته قليلة جدًّا، فهي لا تفي بالغرض، ولا تساعد على معرفة كثير من الأسرار في حياته، ولا تعين على فهم بعض مواقفه. كما لا تتيح الفرصة للتعرف على كلِّ جوانب نشاطه ومجالات تحرُّكه. بل بالعكس يبقى الباحث — نتيجة ذلك — حائرًا

في تفسير بعض الأحداث التي لها علاقة به وموقفه منها.

إن هَذَا - في الحقيقة - لا ينطبق عَلَى أي مسلم فحسب، بل ينسحب عَلَى كثير من الشخصيات العُمانية. وتاريخ عُمان نفسه يكتنفه الغموض، لسنا ندري ما هي العلة في ذلك؟. مهما يكن السبب أو التفسير، فعلى العُمانيين أن ينهضوا للقيام بواجب استدراك ما فات؛ بالكشف عن المغمور والمطموس من هَذَا التاريخ.

* أبو مسلم أدبياً لا معاً:

تحت هَذَا العنوان يقرّر الدكتور محمد ناصر أن الشاعر أبا مسلم واحد من رواد بعث الشعر العربي في أوائل القرن العشرين، وهو لا يقل أهمية ومكانة عن محمود سامي البارودي وأحمد شوقي، إن لم يفقههما في بعض الجوانب.

نحن نقول: لكن متى يمكن لنا أن نثبت ذلك؟

نقرّر ذلك مطمئنين حين نهتمّ الدراسات الأدبية والنقدية بهذا الشاعر الكبير، ويلتفت إلى أدبه ذوو قرباه أولاً، ويوليه عناية خاصة من يحرص عَلَى رصد الحركة الأدبية، وإحلال كلّ أديب محلّه الحقيقي، ومن يعمل عَلَى عدم إقصاء من لا يروق ولا يسير في الركاب، وعدم تهمة من لا ينسجم مع التيار، ولا يخضع للضغوط، ولا يخضع للمساومات والإغراءات...

يقول الدكتور وهو يحاول وضع الشاعر في مكانه الجدير به في الحركة الأدبية: «فأبو مسلم يمثل الشاعر الإسلامي الحقيقي الذي تجلّت في شعره الشخصية الإسلامية في أجلّ مظاهرها وأصفى صفاتها: عقيدة وقولاً وسلوكاً... وأنا حين أذهب إلى هَذَا الرأي لا أستند في قولي هَذَا إلى الموضوعات التي استقطبت الشاعر أبا مسلم أو المواقف والرؤى التي تميّز بها شعره، بل إنّ أبا مسلم أوتي من اللوحة الشعرية والتعبير الفني ما جعله يرقى بالقصيدة العربية من إطارها التقليدي

المعروف إلى إطار فني جديد، لم يسبقه أحد إليه فيما يعرف آنئذ من الشعر العُماني» (ص: 14).

يقرر الدكتور في هذا النص ما يمكن أن يوقف القارئ على معالم شخصية أبي مسلم الأديبة، أو على الأقل يحدد نقطة الارتكاز في هذه الشخصية أو البؤرة التي تنصهر فيها تحركاته وأفكاره وميوله ونزعاته، أو العقدة التي تربط كل الخيوط التي تحكم حياة الشاعر، وتشد الدارس كي ينطلق منها ويرجع إليها كمفتاح لشخصيته:

(1) إنَّ الشاعر مسلم عقيدة وقولا وعملا، مسلم في رؤاه ومواقفه من قضايا الكون والإنسان والحياة، لا يتجلى ذلك - فقط - في الموضوعات التي تناولها والتي لها علاقة بالاسلام، أو بالدين، بل يتعدى هذا إلى طريقة معالجته لتلك القضايا، ويبدو هذا في الالتزام بالروح الإسلامية التي أظهرها طول حياته، وعلى مدى كل ما كتبه أو نظمه شعراً، وقد حلل الدكتور هذا في كل مباحث الكتاب.

(2) إنَّ الشاعر جمع بين الالتزام بالعرض والمعالجة الإسلامية للقضايا والتعبير الفني والتقديم الأدبي الراقي لهما، وهو ما جعله أحد المجلدين في الكتابة الأديبة في مرحلة الإحياء والبعث - حسب رأي الدكتور - وهو أمر لم يكن معهوداً في الشعر العُماني آنذاك، من هنا كان جديراً بأن يتبوأ مكان الريادة في التجديد في الأدب العُماني، ويحتل مكاناً مع زملائه وأترابه في العالم العربي، الذين علّوا من رواد التجديد فيه، وبخاصة من ينتمي منهم إلى المدرسة التقليدية.

هذه الحقيقة التي تجعل أبا مسلم نقلة نوعية في الشعر العُماني، وظاهرة متميزة فيه - في غياب المعلومات عن بقية الشعراء العُمانيين الآخرين - والتي أوجدها المهبة الشعرية التي أوتيتها أبو مسلم. دفعت الأديب صالح بن عيسى الحارثي، وجعلته يقف مندهشاً منبهرًا بما لحظه في شعر أبي مسلم، وما يعرفه عن الشعر العُماني من خصائص تختلف عنه، ثم يتساءل ويقرر حقيقة خطيرة: «هل عندنا - نحن العُمانيين - شاعر يمثل ميولنا؟ هل عندنا شاعر يمثل روحانيّتنا؟ هل

عندنا شاعر يمثل أخلاقنا؟ هل عندنا شاعر في شعره أجدادنا؟ هل عندنا شاعر يربطنا بأمتنا العربية الكبرى؟ هل عندنا شاعر يخرج بنا من عزلتنا في الجنوب الشرقي من هذه الجزيرة؛ فيُنَبِّه إخواننا العرب إلينا؟» (ص: 15).

أسئلة متساوقة، تحمل القارئ على الغوص والبحث والتأمل لمعرفة حقائق كبيرة عن عُثمان وتاريخه، وعن مُحجريات الأحداث فيه، وتدفعه إلى قراءات أو إعادة نظر في كثير من جوانب حياته الأدبية للكشف عن الأسرار التي تخفيها هذه الأسئلة، أو لمناقشة بعض ما أراد صاحب الأسئلة تقريره حقائق مسلّمة، أو تصحيح بعض ما ذهب إليه...

مهما يكن الأمر فهي أسئلة مهّد بها صالح بن عيسى الحارثي لأجل الوصول إلى الحقيقة الكبرى، وهي بيان مكانة أبي مسلم الأديبة في مسار الحركة الأدبية الحديثة في عُمان بخاصة، ويقول: «لكن نفسي أيّها القارئ الكريم، هذه النفس التي عجمتها المأساة في عُمان، هذه النفس التي عاشت منذ حدوثها مع الأحداث في عُمان تجيب مطمئنة واثقة بأنّها وجدت الشاعر، بل لإنّها وجدت شعراء لكلّ عصر، ووجدت شاعرًا عبّر عن عُمان في كلّ العصور، إنّ شاعرنا في عُمان هو أبو مسلم ناصر بن عديم الرواحي» (ص: 15).

نحن بلورنا تتساءل مع القارئ الكريم، هل يشفع أو يسبق هذا التفوق وهذا النبوغ اللذان عُرِف بهما أبو مسلم كي يصدر صالح الحارثي هذا الحكم الكبير الخطير في دور شعر أبي مسلم في تاريخ عُمان؟ وأنّه فعلاً، لم يوجد شاعر ترجم عن عُمان واهتماماته كما ترجم عنها أبو مسلم، حتّى إنّ غدا الشاعر الذي عبّر عن عمان في كلّ العصور، بينما وجد شعراء عبّروا عن عصر معيّن. وهل يمكن أن نفع تحت تأثير العنوى الشعورية، التي نقلتها إلينا الحالة النفسية التي انتابت صالح الحارثي؛ بسبب المأساة التي مرّت بها عُمان من مشاكل داخلية، وعزلة عن العالم العربي بخاصة؟ هل يمكن أن نبقي تحت تأثير هذه الصلّمة النفسية فنطمئن إلى ما

ذهب إليه الحارثي من عدم وجود من يعبر عن هذه المأساة، ويعالج هذه الهموم، ويسجل هذه الاهتمامات، حتى كان لها فارس الحلبة الذي لا يبارى ولا يجارى أبو مسلم الرواحي؟

ثم كيف يكون المعبر عن هموم العُمانيين واهتماماتهم شاعر علش في الغربة معظم حياته، أكثر وأحسن ممن قلب وتلمل في بيتها؟ إذ الشاعر علش جلّ حياته في زنجبار متعلماً وعاملاً إلى أن توفي فيها ودُفن. هل ما ذهب إليه الحارثي صحيح؟ وهل العُمانيون عجزوا عن ذلك؟ أم ما أنتجوه لم يعرف ولم يذع بين الناس؟ أم أنّ هناك أسباباً أخرى وتفسيرات في حاجة إلى إبراز؟ وهل يعدّ النقص في هذا الجانب نقیصة في العُمانيين أنفسهم؟ هذا ما تشيره في نفسي — شخصياً — تساؤلات الحارثي.

هذه أسئلة نقدتها إلى القارئ أو الباحث، وهو مطلوب منه الإجابة عنها؛ كي يسهم في كشف النقاب عن شخصية أبي مسلم بخاصة وعن الشعر العُماني بعامة.

مهما تكن الإجابات، ومهما تكن ردود الفعل عن هذه الأسئلة، أو عن هذا الموقف، فإنّ أبا مسلم يبقى أديباً لامعاً، متميّزاً ملتزماً لأنّه «يتخذ الأدب وسيلة هادفة لتربية الفرد المسلم، لأنّه يعتقد أنّ الأدب رسالة وتوجيه وأمانة، وهذا الإحساس إنّما يدفعه إليه شعوره الإسلامي العميق» (ص: 15).

انطلاقاً من هذا المبدأ، وبدافع من هذه النظرة إلى ما يجب أن يكون عليه المسلم في حياته، وبهذا الإيمان العميق برسالة الأدب في التربية والتوجيه، اهتم أبو مسلم في شعره بالإنسان المسلم في واقعه المعاصر: «فعالج موضوعات حضارية على غاية من الأهمية والعمق والشمولية. فكسب في التاريخ والحضارة والعقيدة واللغة والشخصيات والسيرة، واهتمّ بالجوانب الإنسانية؛ الجانب الروحي في شعر السلوك، الجانب العقلي في شعر التاريخ، الجانب العاطفي في شعر الحنين والطبيعة،

فكان في ذلك محرّك في متلقّي شعره كلّ هذه الأحاسيس التي تربط الإنسان بماضيه من جهة، وتجعله يعيش عصره وواقعه من جهة ثانية» (ص: 16).

يرسم لنا هذا النص الصورة الحقيقية لشخصيّة أبي مسلم الشعرية - إن صحَّ التعبير - ويحدّد بلغة مجالات الكتابة عنده، ويعيّن - عن دراية ومعاينة عميقة واعية - نقط الارتكاز في عملية الإبداع في كتابته، ويبرز بوضوح وجللاء أسلوبه في المعالجة والتناول؛ إذ أنّ الشاعر يمزج بشكل عجيب وواع وبكفاية عالية بين الموضوعات المختلفة، ويتناولها في خيط واحد، ويصدر عن قاعدة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽¹⁾

الدكتور بدوره تمكّن، بما يملكه من كفاية في مجال البحث والكشف والتحليل والنقد، وما يتوفّر لديه من رصيد في ميدان الدراسات الإسلامية، وما يميّز به من رؤية إسلامية، تمكّن أن يتجاوب مع أحاسيس الشاعر، وأن يعايشه وجدانياً، ويسايره في اهتماماته، فيفهم ويعي ما يريد الشاعر تبليغه، وما يرمي الأدلاء به، وما يتطلّع أن يطلبه من الإنسان المسلم أن يحققه في حياته.

هكذا يجب أن يكون الشاعر المسلم الملتزم، وهكذا يجب أن يكون الباحث والناقد، صاحب الرسالة الواضحة.

بعد هذه المقدمة؛ شرع الدكتور في تحليل شعر أبي مسلم، الذي نترك للقارئ أن يكشف بنفسه خصائصه، مع بعض الإشارات من عندنا، ونحن نقف عند بعض المحطّات في هذه الدراسة القيمة، ونترك الباقي إلى إرادة القارئ، التي ستعينه على فهم ما جاء في الكتاب؛ حتى لا نفسد عليه المتعة بكثرة التعاليق.

1 - سورة الأنعام، الآية: 153.

* العقيدة في شعره:

الشاعر أصيل في أفكاره، محافظ على عقيدته، متميز بصفاء طويته ونقاء سلوكه، يتجلى الإسلام في كامل شعره: رؤية وموقفاً، تصويراً وتعبيراً، معالجةً وتناولاً، ممارسةً وتحركاً وسكوناً...

من هنا لا يمكن معالجة شعره وتحليله إلا على ضوء الرؤية الإسلامية الأصيلة، أي لا يمكن أن ندرج شعره إلا تحت لواء الأدب الإسلامي بالمفهوم الدقيق لهذا المصطلح الذي يحتكم إلى مقاييس معينة محدّدة، تنبثق من الرؤية والموقف والنظرة إلى الحياة والكون والناس، وتنطلق من إيجاد العلاقة واللحمة المتينة بين الأطراف الثلاثة في أثناء العملية الإبداعية: المبدع والنص والمتلقي.

هذه المقاييس تفرزها فلسفة خاصة، هي فلسفة إسلامية في طبيعتها وفي توجُّهها، «ومن هنا يصعب أن نفصل في القصيدة الواحدة بين آياتها على أسس الأغراض، فنقول: هذه غرضها ديني، وتلك غرضها قومي، وما دام الدين عند أبي مسلم هو الدائرة الكبرى التي تشمل في محيطها كل الدوائر الأخرى، ومادام الاستنهاض وبث روح اليقظة والانبعاث هلعاً عاماً في قصائده، فإن أي محاولة للفصل تُعدُّ فاشلة» (ص: 32).

بناء على الملاحظة التي قدّمها الدكتور حول شعر أبي مسلم، فإنه رفض تسمية بعض قصائده قصائد دينية⁽¹⁾؛ لأنّ ذلك يفترض أو يوحي أنّ له قصائد غير دينية. إنّ هذا لا يتماشى مع فلسفة الشاعر في الحياة، ومع رؤاه ومواقفه التي هي

1 - كما ذهب إلى ذلك الدكتور أحمد درويش في كتابه: المداخل إلى دراسة الأدب في عُمان، دار الأسرة للطباعة والنشر والتوزيع، مطابع دار المعارف القاهرة 1992م، ص: 162. وصالح بن عيسى الحارثي: مقدمة ديوان أبي مسلم، طبع ونشر صالح بن عيسى الحارثي، عُمان 1986، ص: 10.

إِسْلَامِيَّةٌ فِي كُلِّ حَالَاتِهَا، وَفِي كُلِّ مَظَاهِرِهَا يعلَّلُ الدُّكُورُ ذَلِكَ قَائِلًا: «لأنَّ شعر أبي مسلم كُلُّهُ شعر ديني، الدين سدهاء ولحمته، والدين مصدره ومورده، والدين باعته وهله، إذ نخشى لو وافقنا على هَذَا التَّقْسِيمِ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ لأبي مسلم قصائد دينيةً وأخرى غير دينية، أو يُظَنَّ أَنَّ بعض الشعر عنده يخلو من الإحساس الديني، فقد يصحُّ هَذَا المنهج مع غيره من الشعراء الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، أو الذين كتبوا في كُلِّ الفنون تلبيةً لرغبات قد لا تكون ذاتيةً تصدر عن أحاسيسهم الداخلية، بل هي استجابةً لمناسبات ما، كما نجد ذلك عند شوقي وحافظ مثلاً.

ولو نحن درسنا شعر أبي مسلم على غير هَذَا النحو من اعتبار الدين. عنصراً أساسياً في كُلِّ القصائد لأدخلنا بالمنهج السليم لدراسة شعر أبي مسلم، بل لظلمنا رؤية الشاعر نفسه لمكانة الدين في الشعر... وقد جاء شعره معبراً أصدق تعبير عن هَذِهِ الأحاسيس، الإيمان بالله هو مفتاح شخصيته، والإيمان بالله مفتاح شاعريته» (ص: 23-24).

لعمري إِنَّ هَذِهِ الملاحظة مهمة، وجديرة بشأن يوقف عندها. فهي إلى جانب كونها منصفة للشاعر في بيان حقيقة شخصيته ومُعيّنة على معرفة أحد المفاتيح للولوج إلى داخله - بل هي مفتاح المفاتيح في شخصيته - إلى جانب ذلك فهي تعمقُ البحث فيما يمكن أن يطلق عليه أدب إسلامي، وترشد إلى من يستحقُّ أن يحمل اسم أديب مسلم؛ فلا تكون مجموعة آيات يذكر فيها الإسلام بخير، ينطق بها شاعر، تمنحه بقعةً ضمن الشعراء الإسلاميين، ولا يمكن لمن لا يلتزم في كامل شعره بالروح الإسلامية: فكراً وتعبيراً، توجيهاً ورؤية.. أي لمن ليست له هَذِهِ الرؤية الشمولية الإسلامية في كُلِّ موضوع يعالجه، لا يمكن لهذا أن يُحشَر في زمرة الشعراء أو الأدباء الإسلاميين. في هَذَا المعنى يقول الدُّكُور مُحَمَّدُ ناصِر: «فإذا آمن الأديب بأنَّ التزامه نابع عن الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أصبح هَذَا الشعور ذاتياً فيه، وبات له مراقباً ومصاحباً، وبهذا الإحساس القوي في

مصدر الالتزام بأنه ثابت لا يتغير، ودائم لا يتبدل، يصبح أدبه انعكاساً لإيمانه وعقيدته^(١).

كما أنَّ ملاحظة الدكتور تردُّ رداً مباشراً علىَ الحديثين الذين يفصلون الدين عن الأدب، وتنبُّه السذج من الناس الذين ينخدعون بهذه الفكرة فيردُّون هذه النظرية، ويمارسون الكتابة والنقد على ضوئها أو بوحى منها، من دون أن يتفطنوا أنَّ هناك سمّاً ميثوثاً ومدسوساً في الدسم.

المهمُّ أنَّ هذه اللفتة من الدكتور تُعين على تأصيل مفهوم الأدب الإسلامي، بوضع الأسس الحقيقية، أو بعبارة أخرى الانضمام والتعاون مع من يسعى إلى وضع الأمور في نصابها، والتحذير ممَّن يتاجر بالمصطلحات لتحقيق أغراض خاصة، وفي هذا تحصيل الإسلام من أن يُساء إليه من هذه الناحية؛ وذلك حين يُبعد المرء من معرفة حقيقته. منها نسبة أدب إليه، وهوَ منه براء..

بناءً على الملاحظة التي قدَّمها الدكتور، فهو يقترح أن يقسم قصائد أي مسلم حسب الاتجاهات التي يشتمل عليها شعره: شعر الاستنهاض، شعر الحكمة، شعر الوعظ، شعر الرثاء، شعر الحنين.

* الابتهاال في شعره:

أشار الدكتور إلى بعض الجوانب التي تنبَّت الروح الإسلامية في شعر أبي مسلم^(٢) أو الموضوعات التي كانت بارزة فيه، فمن خلالها أكَّد على الخيط النفسي

1 - خصائص الأدب الإسلامي، ص: 17.

2 - ينظر تحليل الدكتور للرؤية الإسلامية في دعوة أبي مسلم ونداءاته وكتابات الشعرية ما كبه تحت عنوان: «العقيدة في شعره»، ص: 22 وما بعدها، و«الإسلام في شعره»، ص: 32 وما بعدها.

الذي يتنظم شعره، إنَّه الإيمان الذي لا يفارق شعره أبداً.

من هَذِهِ الموضوعات: الابتهاال إلى الله، الذي يعبر عن تفويض الشاعر الأمر إلى الله «في كلِّ نازلة أَلَمَّتْ به؛ جليلة كانت أم حقيرة، أصابته في نفسه، أم ذويه، أم أمته، تعلَّق الأمر بشيء مادي أم معنوي.

فهو طالما رفع أكفَّ الضراعة إلى الله ليحيب دعوته ويحسن حاله وحال أمته، وَهُوَ طالما اشتكى سوء حظِّه وانقطاع حيلته وهوان أمره على الناس، ولكنَّه لم ينس قطَّ أن يعلِّق أمره كله بالله ربَّ العالمين» (ص: 27).

يذكر الدكتور أنَّ الأغليَّة الساقطة من شعره هي قصائد الابتهاال، فهي تمثِّل ثلثي شعره أو أكثر، أي أنَّ الابتهاال يمثِّل الروح التي طبعت أغلب أعماله الشعريَّة، «على أنَّ أبا مسلم لم ينظم قصائده الأخرى بموضوعاتها المختلفة: حينئذٍ واستنهاضاً، مدحاً وثناءً، إلَّا تحت هَذَا الإلحاح الديني، الذي يمثِّل الشاعر أبا مسلم أحسن تمثيل، ويعبر عن شخصيَّته أبلغ تعبير» (ص: 45).

ذكر الدكتور للشاعر قصيدة مطوَّلة في الابتهاال، تجاوزت الألف بيت في مناجاة الله، بدأ كلَّ مطلع فيها باسم من أسماء الله، ممَّا جاء فيها:

إلهي افتقاري لازمٌ لحقيقتي إلى رحمة الرحمن في كلِّ لحظة
إلى رحمة الرحمن تحت جماله أبثُّ اضطراري: طارقاتي وشكوتي

أشار الدكتور على الخصوص إلى ملاحمه الوطنيَّة: المقصورة، النونيَّة، الميميَّة، العينيَّة، ثمَّ إلى تجميعاته لقصائد الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، ثمَّ إلى مراثيه في بعض العلماء الأجلَّاء، ثمَّ قال: «نجدها قد صُبِغت كلّها بقالب سلوكي رفيع؛ لأنَّ شعره كله في الغالب مُتَمَحَوِّرٌ حول الاستقامة منبثق عنها، داع إليها» (ص: 46).

وقد تناول الدكتور شعر الابتهاال عند أبي مسلم من خلال المحاور الآتية:

◊ قصيدة الابتهاال: تعريفها وأبعادها.

◊ مكانة هَذَا الفن عند أيّ مسلم، ولماذا اهتمّ بها؟

◊ محاور هَذِهِ القصيدة عنده من جانبها الموضوعي.

◊ محاورها من جانبها الفني.

◊ قصيدة الابتهاال بين الزهد والتصوّف.

هَذِهِ الظاهرة البارزة في شعر أيّ مسلم تستوقف الدارس ليبحث عن الأسباب والعوامل الكامنة وراء هَذَا التوجّه، وتدعوه إلى دراسة هَذَا الشعر، وتحليله، والوقوف على موضوعاته وخصائصه المعنويّة والفنيّة، ثمّ يتطلّع إلى معرفة الجوانب الإيجائيّة والسليبيّة فيه، وطريقة المعالجة والتناول، في هَذَا الشعر...

هَذَا ما حاول الدككور القيام به في هَذِهِ الدراسة الجادّة. بدأ بتعداد الأسباب: فرأى أنّ البدايات الأولى لكاتبه أيّ مسلم الشعريّة كانت دينيّة خالصة، نظّم أوّل ما نظّم شعراً في الابتهاال والذكر، آية ذلك أنّ ديوانه المخطوط نجده عبارة عن مجموعة من الأذكار الدينيّة، أعطاها عنواناً مثيراً، يحمل أبعاداً دلاليّة على شخصيّة وعلى اتجاهه «النفس الرحماني في أذكار أيّ مسلم البهلاهي»:

1- هَذِهِ البدايات بهذه الروح، قد تكون من الأسباب التي طبعت حياته بطابع روحاني، ووجّهتها وجهة دينيّة خالصة، فأنّثرت على حياته الأدبيّة بصفة خاصّة. ذكر الدككور أنّه قد تكون هناك ظروف اجتماعيّة أو سياسيّة، قد تعدّد موضوعيّة في اتجاه الشاعر هَذَا الاتجاه، إلّا أنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ هناك دافعاً ذاتيّاً أقوى كان السبب في بروز ظاهرة الابتهاال في شعره، ويتّخذ الدككور ما صرّح به الشاعر دليلاً على ما ذهب إليه:

بأسمائك الحسنى تقرّبت سيّدي	إليك مُجلاً في هتافي وقُربتي
جعلت سميع الطبع ترتيل ذكرها	لوجهك ربّي خلوة بعد خلوة

وهب لي بها من كل خير أتمه إلهي في الدنيا وفي الآخرة
(ص: 55)

فعلا إنَّ الدافع الذاتي في الالتجاء إلى الابتغال يبدو قوياً لدى أبي مسلم، يتجلى ذلك كما ذكر الدكتور - في هذا التضرع الخالص إلى الله، الذي لا يكاد يفارق آية قصيدة من شعره، مهما يكن الموضوع الذي يتناوله، خاصة حتى يكون مناجياً ربّه، أو متحدّثاً عن بعض حوادث الدهر، أو عن بعض الضيق والضرر اللذين يشعر بهما - أحياناً - نحو الناس، أو نحو نفسه.

إنّه يتخذ الشعر وسيلة يناجي بها ربّه، ويدعوه ويتقرّب إليه، قال عن ذلك في مقدّمة تخميسه قصيدة شيخه الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي: «ولكني امرؤ حالفت خدمة الأذكّار، وأشربت حبّ الاغتراف من بحار الأسرار، وعلمت أنّ لهذه الدعوة (سموط الثناء) أثراً ساطعاً، وبرهاناً قاطعاً، أشهر من الشمس في كبد السماء، وأغزر بركة من عيالم الدماء (البحار)، فاستمسكت بعروقها، وأخذت بحجزتها، وجعلت من التخميس لرب العزة نداء، ولبست لها من أديم السحر رداء» (ص: 54، 55).

2- يتخذ هذو القصائد أوراذاً يقسمها بين اليوم والليلة، فتصبح عنده عبادة قارة ورياضة روحية، يصفّي بها نفسه من أدران المادّة وأوضار الدنيا، كلّما أصابه شيء من غبارها.

3- إذا استبدّ به قلق لجأ إلى الابتغال، الذي يجد فيه الطمأنينة، التي تبدّد هذا الضرر، وإذا نزل به خوف لاذ إلى حيمى الله؛ لينهب عنه الخوف والحزن:

سيدي عزّني الوجود ملاذاً	وتعمّت أمام وجهي سبلي
سيدي من يحلل جِماك يصادف	كرما منزلاً برحب وأهل
سيدي أيّ قاص طوّحتّه	في حماك الخطوب باءً يحظّل

(ص: 55)

فالاتِّهال طاقةٌ رُوحِيَّةٌ، تملأُ نفسَ الشاعر طمأنينةً ورضا ويقيناً وأماناً، فهو بذلك عبادةً وحاجةً وأماناً:

«إنَّ قصيدةَ الاتِّهال عند أيِّ مسلم حاجةٌ نفسِيَّةٌ، واستجابةٌ ملحَّةٌ لخواءٍ روحي، يشعر به عندما تدلُّهمُ أمامه الحوادث، وتتحكَّمُ حوله حلقات الأزمات النفسِيَّة، فلا يجد سلاحاً لنفْعها إلاَّ الاتِّهال المتضرَّع إلى الله؛ لأنَّه يشعر لا محالة بالضعف البشري، ويعترف بقِلَّةِ حيلته، وهوانه عند النّس، فيغلو الدعاء حيثُذ سلاح المستضعف، الذي لا يجد النصر إلاَّ عند الله قاهر المستبدين والجبابرة والطغاة، فأسماء الله تغدو عنده الجنود والحصون والسيوف والنبال، التي يقاتل بها، بل إنَّها البروق التي تخطف أبصارهم، كلّما أرادوا به سوءاً» (ص: 56).

ما يستوقف الدارس — في هَذَا الجانب — هَذَا الإغراق في الاتِّهال والدعاء والمناجاة والتضرُّع الخاشع المبكي، الباعث على الإشفاق.

إنَّ ما ذكره الدكتور من الدوافع ذاتِيَّة غير كاف، إذ يبدو أنَّ هناك دوافع ذاتِيَّة أخرى تتعلَّق بشخصِيَّة الشاعر وسلوكه؛ ممَّا قد يفهم من بعض الكلمات والعبارات التي تضمَّنَتْها أشعاره. وربَّما تكون هَذِهِ من الإشارات والعبارات التي تلازم قاموس المسلم، الذي يستشعر التقصير والخطأ والزلل دائماً، وهُوَ بذلك دائم الرجوع إلى ربِّه؛ يرجو رحمته ويخاف عذابه.

كما يبدو أنَّ هناك عوامل خارجِيَّة اجتماعِيَّة وسياسِيَّة، كان لها تأثير على حياة الشاعر، هَذِهِ العوامل لو ذكرت أو اكتشفت لأوضحت أموراً وأبرزت أشياء، ولسلَّطت الأضواء على جانب من البيئة أو البيئات التي عايش أو تملل فيها الشاعر، وأماطت اللثام عن الأوضاع التي كان يعيشها العالم الإسلامي، وليتَّنت — بأكثر دقَّة — كيف كان الشاعر يتعامل معها، ولاستفاد القارئ دروساً من هَذِهِ المعاملة والعلاقة التي كانت تسود أو تنظَّمه هو مع محيطه.

مهما يكن من أمر ما عرضناه، فإنَّ إشارات الدكتور مهمَّة، في ذكرها بعض الحقائق، وفي دلالتها، كباحث مسلم، ينبِّه إلى مكان العبر في السلوك، وبيت القصيد في الإشارة والتناول، وفي توجيه البحث والدراسة إلى ما يخدم الاتجاه الإسلامي بعامة.

عن الجانب الموضوعي في قصيدة الابتهاال عند أبي مسلم يقول الدكتور: «إنَّ قصيدة الابتهاال عند أبي مسلم تسير وفق مخطَّط فكريٍّ مرسوم ومنهجٍ رؤيويٍّ معلوم، يقسمها إلى محاور وعناصر، وما يزال يتبعها في خطى ثابتة موزونة؛ حتَّى يصل إلى خاتمتها، بل تشعر وأنت تقرأ تلك الابتهاالات أنَّ خيطاً نفسياً رفيعاً، يسلكها في عقد واحد، يبدأ من الجزئيِّ إلى الكلِّيِّ، أو من الكلِّيِّ إلى الجزئيِّ» (ص: 57).

هَذَا الوضوح في الرؤية، وَهَذَا النسق المتَّزن في التعبير، وَهَذَا الصدق في الشعور، وهذه البراعة في التصوير... كلُّ ذلك يفسِّره — كما يقول الدكتور — الترجمة الصادقة لخلجات الشاعر النفسيَّة، وقد جاءت تلك الأفكار الكثيرة المتكرِّرة المتشابهة والمتماثلة في كثير من قصائده، التي ضمَّنها شعره الابتهاالي، جاءت استجابة صادقة لأحاسيس وأدعية خالصة لهوموه وغمومه.

ذكر الدكتور، وَهُوَ يسجِّل تفوُّق أبي مسلم في شعر الابتهاال، وتوفيقه في عرض موضوعاته، ويقرِّر تفرد هذه القصائد بميزة خاصَّة ممَّا جعل لها طعماً خاصاً، تنجذب إليها النفوس بطواعية: «وقد وفَّق في عرضها بطريقة منهجيَّة، تنداح في دوائر نفسيَّة، تبدأ من هوموه الخاصَّة الشخصيَّة، ثمَّ تتسع شيئاً فشيئاً لتشملُّ هموم وانشغالات أمته الإسلاميَّة، وهذه الرؤية في حدِّ ذاتها، تسم هذه القصائد بسمة الخصوصيَّة، وتفرداها بنكهة شعريَّة محبَّة» (ص: 58).

قصائده الابتهاليَّة — حسب الدكتور — تتضمَّن المحاور الآتية:

◊ افتتاحية في تقديس اسمه تعالى.

◊ تمجيد الذات الإلهية بذكر صفاته التي وصف بها نفسه.

◊ الاعتراف بالذنب والتقصير في جنب الله.

◊ التوبة وطلب الغفران.

◊ مطالبه وحاجاته الدنيوية والأخروية: وهي تركية النفس، العلم الدنسي،

القبول، الرضا، الغنى الذي يغنيه عن ذل السؤال، الدعاء على أعدائه بطلب

الانتقام منهم، طلب نصرة الأمة الإسلامية على الكافرين والمشركين

والطغاة، ثم الخاتمة بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

هذه المحاور أو الموضوعات تؤكد ما قاله الدكتور أو لمح إليه، وهو أن الشاعر

مسلم أصيل: قلباً وقالباً. إنه المسلم المتذلل الخاضع لربه، المجد له، المفوض أمره

إليه، إنه المؤمن المعترف بذنبه وتقصيره، المحتاج لمغفرة ربه، إنه العبد القنوع

بالحاجات الدنيوية بالقدر الذي يعينه على طاعة ربه، والتبتل إليه، الطالب من الدنيا

الحذر الأدنى، الذي يجعله عفيفاً كفيفاً؛ بما لا يلجسه إلى سؤال الناس، إنه المسلم

الذي يغضب لانتهاك حرمة الله، ويحزن لما يصيب المسلمين من أحزان

ومصائب، ولما ينالهم من أعدائهم الأقرين والأبعدين، وهو لذلك يدعو الله أن

يتقم لهم من المعتدين والظلمة والجبابرة؛ منتصراً لدينه...

من هنا فإن الابتهاج عنده إيجابي، لا يبقى في حدود ترديد الكلمات والجمل

والعبارات، ولا يتسم بالانطوائية والبكائية المفرطة في إذلال الذات، وهزم النفس،

وهو بذلك يختلف عن الشعراء المنتصوفة المعروفين في الأدب العربي.

في دعائه على الكافرين والمتجبرين، يقول الدكتور: «إن أبا مسلم حين يعبر

بالشعر يعبر عن واقع أليم يعيشه هو، ويعيشه قومه، وتعيشه أمته الإسلامية معه،

فهو شاعر حسّاس بالأم وآمال نفسه وجمتمع من حوله، ممّا يميزه عن شعراء

الأبراج العاجية والكهوف المنعزلة، وينفي عنه كلّ سلبات الزهد والتصوّف،
 فبالإضافة إلى ما عرف عنه من أفكار في الإصلاح الديني والاجتماعي، حتّى إنّه
 ليلعدّ في زمنه أحد الإصلاحيين الذين حاولوا معالجة أدواء المجتمع العماني على كلّ
 الأصعدة: سياسياً ودينياً وفكرياً. فقد عرف أيضاً بمواقفه السياسية من إمامة سالم
 بن راشد، ومساندته له بالقصائد ولاسيما قصيدته التي يحفظها أغلب العمانيين:
 «النونية» أو قصيدة: «الفتح والرضوان» (ص: 67).

من المحاور البارزة في قصيدة الابتهاال عند أبي مسلم: المديح النبويّ، وهو
 عنصر هامّ وموضوع أساسيّ فيها، فهو دائماً يحتتم به قصائد الذكر، معدّاً ذلك
 وسيلة ودعاء وذكرًا.

هذِهِ المدائح هي ممّا أذاعه المتصوّفة، وهي تعبّر عن قلوب مفعمة بالإيمان
 والحبّ والصدق والإخلاص. كثرتها في شعر أبي مسلم يعبّر عن الأخلاق العالية
 التي يتّصف بها وعن الصفاء الروحي الذي يتحلّى به، وتؤكد على صلة شعره
 بشعر التّصوّف؛ ما دامت المدائح فنّاً نشأ في البيئات الصوفيّة، كما يذكر ذلك
 الدكتور زكيّ مبارك (ص: 76).

أبو مسلم — من خلال المدائح — يعرض نفسه على ربّه مباشرة من دون
 واسطة، ومن دون حاجب، يشكو إليه آلامه، ويعترف له فيها بذنوبه، ويستهديه،
 ويطلب منه المغفرة والرضوان، بل كما يؤكد الدكتور عن بعض قصائده: «وإنّ
 بعضها ليغلو صرخات غضب، ينفجر جيمّاً على أعدائه؛ ومن هنا يتوجّه إلى
 الله قاهر كلّ جبّار، ونصير كلّ مستضعف، ومفرّج كلّ همّ، داعياً متضرّعاً»،
 قال أبو مسلم:

فَارَجِ الْهَمَّ كَاشِفِ الْغَمِّ عَجَلْ فَرَجاً عَاجِلاً وَلَطْفاً بَذِلْ
 يَا مُغِيثَ الْمَلْهُوفِ يَا رَاحِمَ الْعَبْدِ مَرَّةً يَا مُنْجِي الْغَرِيقِ اسْتَجِبْ لِي

حيطة العلم بي مناب سؤالي وسؤالي فقيري وذلل محلي
(ص: 90)

مِمَّا أوردته الدكتور من ملاحظات وإشارات ونماذج من شعر أبي مسلم في
المدائح النبوية، نستشف أموراً كثيرة، تحتاج من الباحثين والدارسين إلى وقفات
وتحليلات، وتقييم ونقد... حتَّى يحاط اللثام عن المستور في هَذَا الشعر، وتفكُّ
الألغاز الكامنة فيه، ويزاح الغموض المكثف هَذِهِ الأشعار، وتتجلي الحقيقة فيها،
وتعرف شخصية الشاعر المسلمة المؤمنة، ومعتقداتها في الرسول ﷺ. ومن ثمَّ تحلُّ
هَذِهِ المدائح محلَّها اللائق بها بين المدائح التي عرفها الأدب العربي، وتعرف مكانتها
ومكانها من مدائح الصوفية وغيرهم.

إنَّ إشارات الدكتور وعرضه تفتح جدلاً وحواراً كبيرين حول هَذَا الأدب،
وهو ما نتمنَّاه أن تثمره هَذِهِ الدراسة القيِّمة.

إنَّ الدارس حين يتبع المديح النبوي في ابتهالات أبي مسلم يلحظ الأمور
الآتية:

- 1- المديح ركن أساسي عنده في الابتهاال؛ إذ لا يتمُّ الذكر إلاَّ به.
- 2- الحبُّ الجارف القويُّ للرسول ﷺ، فكلُّ ما لديه من طاقة تعبيرية
وتصويرية، لا تصلُّ إلاَّ عن إيمان عميق، وإعجاب شديد بنبيِّ الإسلام...
- 3- يلجأ الشاعر أحياناً إلى مصطلحات الصوفية في مديحه، حين يحرص على
الكشف عن هَذَا الحبِّ الجارف للرسول ﷺ.
- 4- أثر التصوف الفلسفي واضح فيما ضمَّته مديحه من رموز وإشارات،
وتهويمات، إذ هي نظرات غريبة عن الإسلام.
- 5- محبة الرسول ﷺ يتَّخذها أبو مسلم في دعواته وأذكاره وابتهالاته وسيلة

يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ لِيَتَقَبَّلَ دَعَاةَ وَيَمْنَحَهُ الْجَنَّةَ وَالنَّعِيمَ الْمُقِيمَ.

بعد أن عرض الدكتور الموضوعات والمحاور التي اشتملت عليها قصائد الابتهاال عند أبي مسلم، خلص إلى هَذِهِ النتيجة: «إنَّ قصيدة الابتهاال كشفٌ جليٌّ للآلام والآمال التي تعتور نفس أبي مسلم في حالي الرضا والغضب والأمن والخوف والسعة والضيق والقلق والطمأنينة» (ص: 90).

حَتَّى يَتَعَرَّفَ الْقَارِئُ أَكْثَرَ عَلَى طَبِيعَةِ قِصَائِدِ الْإِبْتِهَالِ عِنْدَ أَبِي مُسْلِمٍ، وَتَضَحَّ لَهُ الرُّؤْيَا فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الْكُتَابَةِ الشَّعْرِيَّةِ، تَنَاقُلُ الدُّكُورُ الْجَانِبَ الْغَنِيِّ فِي هَذِهِ الْقِصَائِدِ. وَكَانَ مَنْطَلَقُهُ فِي هَذَا السُّؤَالِ الْآتِي: هَلْ طَبَعَ أَبُو مُسْلِمٍ قِصَائِدَ الْإِبْتِهَالِ بِطَابَعٍ فَتَنِيٍّ خَاصٍّ؟

للإجابة عن هَذَا السُّؤَالِ اسْتَعْرَضَ نَمَازِجَ مِنْ شَعْرِ أَبِي مُسْلِمٍ، وَاسْتَخْرَجَ بَعْضَ السَّمَاتِ، مِنْ دُونِ سَرْدِهَا كُلِّهَا، وَاعْتَذَرَ لِلْقَارِئِ عَنْ هَذَا الْإِخْتِصَارِ وَالِاتِّقَاءِ؛ إِذْ أَنَّ قِصَائِدَ الْإِبْتِهَالِ عِنْدَ الشَّاعِرِ كَثِيرَةٌ، فَهِيَ تَشْكَلُ وَحْدَهَا دِيْوَانًا، مِمَّا يَتَعَذَّرُ دِرَاسَتُهَا كُلِّهَا.

تَحَدَّثَ الدُّكُورُ عَنِ الْبَنِيَةِ الْعَامَّةِ لِلْقِصِيدَةِ وَتَسَاءَلُ فِي الْبَدَايَةِ: «عِنْدَمَا اخْتَارَ أَبُو مُسْلِمٍ لِدِيْوَانِهِ عُنْوَانًا (النَّفْسَ الرَّحْمَانِيَّ) هَلْ كَانَ يَعْنِي مَا تُوْحِي بِهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ فَيْضٍ رَبَّانِيٍّ وَمَدَدٍ عَرَفَانِيٍّ، بِحَيْثُ غَدَا طَابَعَ الدِّيْوَانَ هَذَا الْفَيْضُ الرَّاحِرُ مِنَ الْعَطَاءِ الشَّعْرِيِّ الَّذِي يَمْتَدُّ أحيانًا لِيَصِلَ 1595 يَتَنَا فِي الْقِصِيدَةِ الْوَاحِدَةِ، كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي (الْوَادِي الْمَقْلَسِ) حَيْثُ بَلَّغَتْ أَيْاتُهَا 1595 يَتَنَا.

هَذَا الطُّولُ الْمَفْرُطُ هُوَ أَوَّلُ مَا يُلْحَظُ فِي الْبَنِيَةِ الْعَامَّةِ لِهَذِهِ الْقِصَائِدِ، وَقَدْ بَنَاهَا الشَّاعِرُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ السَّامِقِ الشَّاهِقِ لَتَمَاشِيٍّ مَعَ جُلُوسَاتِ الذِّكْرِ الَّتِي يُفْتَرَضُ فِيهَا أَنْ تَسْتَحُوذَ عَلَى وَقْتٍ طَوِيلٍ، كَمَا أَوْضَحَ ذَلِكَ فِي الشُّرُوطِ الَّتِي وَضَعَهَا لِهَذِهِ الْأَذْكَارِ الثَّمَانِيَةِ الَّتِي احْتَوَى عَلَيْهَا دِيْوَانُهُ (النَّفْسَ الرَّحْمَانِيَّ) وَأَبُو مُسْلِمٍ عَلَى وَعْيٍ

تام بهندسة قصائده على نحو خاص، يستجيب لما نظمت من أجله، وقد شرح لنا بنفسه رؤيته الفنية هذه...»⁽⁷⁾ (ص: 91-92).

مِمَّا يُلحظ في البنية العامة للقصائد الابتهالية أَنَّهَا هُنْدست لتحقيق هدفها واضحاً مسطّراً، يستجيب لما تتطلبه جلسات الذكر، التي تتوزع أيام الأسبوع السبعة.

على الدارس والقارئ أن يتأمل جيّداً في هذه الطريقة، وفي هذا النهج، ليعرف مدى ارتباط الشاعر بهذا اللون من الشعر، وليعرف مكانة الابتهاال في حياته، ثم بعد ذلك يقيّم هذه التجربة، ويحكم بما يشاء...

ثم فصل الدكتور في هذه البنية الشعرية، التي تميّز هذه القصائد، مبتدئاً باللغة الشعرية، مازجاً - في هذا التوضيح والتحليل - بين التعبير والتصوير، أي بين اللغة والصورة، وسجّل في هذا المجال براعة أبي مسلم في النظم وكفائته المعتبرة في الأدوات الفنية للكتابة وامتلاكه القوي الراسخ لخاصية اللغة العربية. إنَّ هذا «يدلُّ على رصيده الزاخر الذي يغترف من محيط القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأدب العربي بكلِّ فروعِهِ، ومحيطه الواسع: أمثالاً وحكمًا ومواعظ» (ص: 94).

ثم أورد الدكتور جملة من النماذج عن الصورة البلاغية في شعره التي اعتمدت على التضمن والاقتران من القرآن الكريم أساساً. وهي تشهد له بالبراعة في التضمن، وفي استلهاً آيات القرآن الكريم واستحياء معانيه، وفي التعامل مع ما يشير إليه تعاملًا واعياً هادفاً وبارعاً، ينسجم مع مستلزمات الفن.

يقول الدكتور: «والواقع أنَّ ديوان أبي مسلم يحفظ بالأمثلة الشاهدة على ثقافته القرآنية الواسعة: حفظاً وتمثلاً واستلهاً لآبِهِ بطريقة فنية بارعة، تدلُّ على

حفظه القوي لكتاب الله، كما تدلّ على براعته الفنية في استخدام هذه اللغة المتميّزة بإيجازها وظلالها، وهي لغة متقاة مقصودة لذاتها، لأنها تماشى مع أجواء القصيدة الابتهالية في روحانيتها وشفافية إيمانها» (ص: 100).

كما كان يضمن ويستلهم الأحاديث النبوية والأدب العربي والحكم والأمثال العربية... لكن دون درجة القرآن الكريم.

وفي سبيل الكشف عن البنية الشعرية تناول الدكتور عنصراً مهماً في لغة الشاعر في الابتهالات هو اللغة الصوفية. وقد لاحظ توفّر هذه اللغة على كم هائل من المصطلحات الصوفية وتعبيرات المتصوفة، وهو يسلم في هذا متأثراً بها تأثراً كبيراً، وهو ما طبع شعره بطابعها الروحاني، وقد كان في هذا مقتفياً أثر شيخه سعيد بن خلفان الخليلي، الذي كان هو بدوره مدعماً على قراءة أشعار المتصوفة. غير أنّ الدكتور يدي ملاحظة مهمة تفتح المجال للبحث والدراسة لملاءمة من الثغرات في شخصية أبي مسلم؛ لأنّ النقطة في حد ذاتها مثيرة لكثير من الجدل، والاختلاف حول نوع هذا الشعر، ومدى انسجامه مع طبيعة أبي مسلم، وتماشيه مع المواقف والرؤى التي عرفت عنه، وتناسقه مع التصوّر والانطباع اللذين يأخذهما القارئ عن أبي مسلم المؤمن الملتزم، الصادر في سلوكه عن عقيدة، قد لا تقبل بعض الشطحات التي يتوفّر عليها شعره. يقول الدكتور: «ونحن لا نستطيع أن نقطع برأي حول القصد من استخدام هذه التعبيرات عند الشاعر، أهو استخدام فلسفي اصطلاحياً مقصود لما وراءه من معان وإشارات يعرفها المتصوفة، أم هو استخدام لا يتعدّى المجال الشعري الذي يستخدمه الشعراء عادة من كلّ الأجواء الأدبية حسب قراءاتهم ورؤاهم الفنية وأبعاد تجاربهم الشعرية» (ص: 102).

ثم سجّل الدكتور بعد ذلك سمة أخرى تميّزت بها أشعار أبي مسلم الابتهالية، هي ظاهرة التكرار اللفظي والمعنوي، وهو يرى أنّ التكرار اللفظي بخاصة ضرورة لازمة للإشادة أثناء الدعاء والابتهاال والتضرّع إلى الله. يقول الدكتور:

«السبب في ذلك يعود إلى أنَّ الشاعر إنَّمَا نَظَّمَهَا لتشدُّ في حلوة الذكر. والإنشاد لا يكون إلاَّ بصوت موزون، فيه جرس وإيقاع، يبعث النشوة في القلب، ويساعد الذاكر على الجذب والخروج من عالم الماديات، كما نرى ذلك في حلقات الذكر عند الصوفيَّة، ولعلَّ الشاعر مراعاة لهذه الموسيقى الخارجيّة والداخلية عند الأداء نوع التكرار بطريقة لا تبعث الملل في النفس بل يصبح التكرار الرتيب في حدِّ ذاته وسيلة للاسترخاء والإنشاد؛ ممَّا دفعه إلى التوزيع في الأوزان الشعريَّة والقوافي، فكان يختار من الأوزان ما يساعد على الإنشاد، مثل الرجز الذي نظم في أغلب تلك القصائد. وعلاقة بحر الرجز بالإنشاد علاقة حميمة معروفة في تاريخ الشعر العربي» (ص: 107-108).

هكذا يسجِّل الدكتور ميزة أخرى تشهد للشاعر بالبراعة والكفاية، التي أبداهها في المراعاة بين المضمون والشكل والمناسبة والمتلقي والهدف أو الغاية من هذه القصائد. كلُّ ذلك يثبت أصالة ما نظمَه في هذا المجال.

حتَّى تكمل الصورة عن شعر الابتهاال عند أبي مسلم، وينكشف جانب من جوانب شخصيته، عمد الدكتور إلى التفريق بين الزهد والتصوف، وبعبارة أدق؛ حاول أن يبيِّن ما إذا كان زاهدًا أم كان متصوفًا؟ متصوفًا عمليًا أم متصوفًا فلسفيًا؟

عرض في البداية السؤال الآتي: «أعتبر هذه القصائد من قصائد الزهد والنسك والذكر التقى فهي تستمدُّ جنورها من الشعر الإسلامي الأصيل، أم هي فنُّ شعري يستقي لغته وأفكاره ورؤاه من الشعر الصوفي، فهي إلى الشعر المتأثر بالفلسفة الصوفيَّة أقرب؟» (ص: 110).

للإجابة عن هذا السؤال الجوهري المهم أشار الدكتور إلى ضرورة معرفة الدوافع والأسباب التي دفعت أبا مسلم إلى الإكثار من شعر الابتهاال الذي اصطبغ بالصبغة التصوفيَّة حتَّى تكون الإجابة موضوعية، وقد تكون مقنعة.

لكن قبل سرد هذه الأسباب ارتأى رسم شخصية أبي مسلم من خلال شهادات معاصريه ومعاصريه، الذين اختبروه وعرفوه معرفة جيدة، أمثال سالم بن سليمان بن عمير الرواحي، وعيسى الحارثي...

هؤلاء كلهم متفقون على أن الرجل عميق الإيمان راسخ العقيدة، نقي الدين، صفي السريرة، مستقيم السلوك... يقول الدكتور: «إن وراء السلوك السليم الذي نهج عليه أبو مسلم - ولا شك - عقيدة إيمانية راسخة، وتربية دينية ملتزمة، فأبو مسلم إباضي معتز بإباضيته، مستمسك بعقيدته، ينافح عنها بكل قوة، كما دلت على ذلك كتاباته الثرية والشعرية» (ص: 111).

إلا أن الدكتور يثير سؤالاً آخر مهماً أيضاً من شأنه أن يعين على الكشف عن بعض الحقائق، وهو إذا كان أبو مسلم مخلصاً لمنهجه مستمسكاً بعقيدته كما رسمتها الإباضية «فما الذي دفعه إلى هذا الشعر ذي الطابع الصوفي، في الوقت الذي نعرف فيه موقف الإباضية من التصوف وهو موقف الإنكار والرفض تاريخياً وفكرياً» (ص: 112).

السؤال مهم لأنه يهدف أساساً إلى الوصول إلى نتيجة منطقية، وهي ما مدى ملائمة الخط الفكري والعقدي الذي رسمته أشعار أبي مسلم الابتهالية لشخصيته، وانتمائه المنهجي؟

هذان السؤالان يثيران إشكالاً كبيراً حول شخصية أبي مسلم. الإجابة عنهما بلغة وموضوعية تحدد ما إذا كان الشاعر زاهداً أم متصوفاً، متصوفاً بالمفهوم الإسلامي الصحيح أم بالمفهوم الفلسفي المتطرف؟ .

حاول الدكتور الإجابة عنهما بعرض مجموعة من الحقائق، تساعد القارئ - حسب قناعته أو علمها - إلى الإقرار بأن شعر الابتهال عند أبي مسلم قريب من النزعة الصوفية أم هو بعيد عنها:

أولاً: «البيئة العمانيّة» بما عرفته من ظروف سياسيّة واجتماعيّة خاصة، اتّسمت بالاضطراب وعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي، فمن اختلاف حادثين قبائلها، وتسلبت القوى الأجنبية على بعض مناطقها، كلّ ذلك جعل أهل الفكر والرأي وذوي الغيرة على وطنهم ودينهم يشعرون بنوع من الغربة، أدّت بهم إلى طلب المدد الروحي من الله ليخلص وطنهم ميّاً هو فيه من كلّ ذلك» (ص: 112-113).

يرى الدكتور أنّ هذه الظروف السياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة هي من أكبر العوامل التي دفعته دفعا إلى أن ينحو هذا المنحنى في شعره، ويتّجه هذا الاتجاه في كتاباته؛ خاصّة وهو يرى بأمّ عينيه ما آل إليه أمر المسلمين من تضييع شرع الله، وعدم وعي حقيقة الإسلام، وفي المقابل الإقبال على زخارف الدنيا ومتاعها الزائل، إلى جانب ما يشاهده من عبث الكفار وعيّنهم في أرض المسلمين، وقد تأثّر في الدرجة الأولى بما أحاط مسقط رأسه عُمان وديار غربته شرق إفريقيا وزنجبار.

فالدكتور ينفي عن الشاعر أيّة سيمّة فلسفيّة خارجة عن روح الإسلام من تصوف وغيره.

ثانياً: «إنّ أبا مسلم يتمي في عقيدته إلى الشراة يعتنق مبادئهم وعقيدتهم وموقفهم السياسي من الأحداث التي جرت بينهم وبين الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقصيدته النهرانيّة أكبر شاهد على ذلك... هذا الشاعر الملتزم بعقيدة الشراة، لا نشك في إعجابه أيضاً بسلوكهم والتزامهم بتطبيق الشريعة الإسلاميّة في مسيرتهم الحضاريّة الطويلة» (ص: 115).

عند الدكتور بعض ما عُرف به الشراة: هم زهاد في الدنيا، مقبلون على الآخرة في كلّ مواقفهم السياسيّة والدينيّة، متمسكون بالعقيدة، متفانون في سبيلها، بمراقبة النفس في كلّ حركاتها وسكناتها... «ولعلّ ما يلو في أدبهم وفكرهم من زهد وركون إلى الآخرة، رشّحهم ليكونوا نواة لنشأة الفكر الصوفي في

مظاهره الإيجابية لا السلبية» (ص: 116).

ثالثاً: ظهرت في الأدب العُماني نزعة الزهد التي ترغَّب عن الدنيا وزخرفها ومتاعها القليل، وإلى جانبها برز فيه تصوّف علمي؛ بدءاً من الشيخ جاعد بن حميس وابنه ناصر بن أبي نبهان الخروصي، والشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، الذي لم يكن تصوّفه «سلياً»، ولم تكن فيه تلك الشطحات الصوفيّة من الحلول والاتّحاد أو وحدة الوجود، التي وجدت عند ابن عربي وابن الفارض والحلاج، أو أضرابهم، وإنّما كان تصوّفه تصوّفًا إيجابياً» (ص: 117).

ليكشف الدكتور عن تصوّف أبي مسلم، ذكر العلاقة التي تربطه بالشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، وأشار إلى الآثار التي تركتها شخصيّة في أبي مسلم. ومن بين هذه الآثار نوع التصرّف الذي طبع أدبه:

1- تلمذ أبي مسلم غير المباشر على الشيخ الخليلي؛ باعتبار أنّ والد شاعرنا أحد تلامذة الشيخ الخليلي الذين انطبعوا بسلوكه وتديّنه، وأبو مسلم تأثّر - بدوره - تأثراً كبيراً في سيرته. وجاء تأثّره بأفكار الشيخ الخليلي نتيجة إيمانه على قراءة آثاره. وقد انتقل هذا إلى التأمّسي بأخلاقه ومواقفه وسلوكه ورؤيته إلى الأحداث التي كانت تعصر أو تعصف بعُمان بخاصة، أو على الأقل الاستئناس بها: «ولعلّ أقوى بصمات الشيخ سعيد ظهرت واضحة في شعر أبي مسلم ولاسيما في أذكاره وابتهالاته التي لا تشكّ أبداً في استفادتها من تجربة الشيخ سعيد الشعريّة، ولاسيما في مجال الابتهالات الشعريّة والذكر والزهد، وأكاد أقول: والتصرّف» (ص: 119).

2- صداقة أبي مسلم للشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي، جمعتهما في الكتاب، وصحبتهما في درب الحياة: «ولم تكن تلك العلاقة الروحيّة بينهما سوى وليدة انسجام وتقارب في الرؤية والمواقف» (ص: 119).

هذه الموجة العارمة التي اجتاحت عُمان وزنجبار، كما عمّت العالم الإسلامي، كوّنّت مدرسة متميّزة تضرب بجنورها في أعماق التاريخ إلى أن تتّصل

بسبب إلى حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي. أقطاب هذه المدرسة التزموا بالروح الحقيقية للعبادات، وتميّزوا بالإخبات والإنابة والإخلاص، ومراقبة النفس ومحاسبتها حتى لا تخرج في تصوفها وزهدا عمّا شرع الله، وقد تخرج هؤلاء «في الإصلاح والتزكية والإحسان أئمةً ومحققين، انتفعت بهم أجواء واسعة من العالم الإسلامي، وإلى بعض شيوخ تلك الطرق الصوفية يرجع الفضل في بعث النهضة الإسلامية في قلوب المسلمين في مواجهة الكفر والإلحاد والتغريب» (ص: 121).

إلى هذه المدرسة ينتمي أبو مسلم - حسب رأي الدكتور - وبهذه النزعة كان يكتب أشعاره الابهائية، وعن هذا التصور كان يصدر في شعره التصوفي، الذي كان يقرن بالسلوك الإسلامي الصحيح والعقيدة الإسلامية الصافية، بمعنى أدق: كان الشاعر بعيداً عن التصوف الفلسفي.

يؤكد الدكتور في الأخير على أنه يجب استحضار الملاحظات التي قدمها والحقائق التي أثبتتها، المتعلقة بحياة أبي مسلم؛ حين تناول موضوع التصوف في شعره، ثم التفريق بوعي وكفاية بين التصورات والرؤى والمواقف، وعدم الوقوف أو التوقف عند مستوى الألفاظ والجمل والمصطلحات التي يكون أبو مسلم قد استعارها ووظفها في شعره؛ مثل التوسل بالأولياء الصالحين والأقطاب والأبدال، والحديث عن الرسول ﷺ.. يجب التأمل في ذلك بعمق، وتحليله تحليلاً يتماشى مع عقيدة أبي مسلم وسلوكه، وما طبع حياته، وما ساد بينته، وما يعرف به مذهبه؛ حتى تصدر أحكامنا في هذا الشعر مستندة إلى معطيات موضوعية، تنصفه ولا تظلمه.

المهم أن الدكتور سجل أو أقر أن تأثر أبي مسلم بالتصوفة «لم يكن في الرؤية والموقف، وإنما هو تأثر في التجربة الشعرية من جانبها الفني، ولم يتجاوز إلى أبعد من هذا، ومن طبع الشاعر المبدع أن تكون لغته متقنة من العوالم التي يحياها،

سواء تلك العوالم التي يحياها واقعا معاشاً، أم تلك العوالم التي يندمج فيها أثناء قراءته الأدبية بخاصة والمعرفية بعامة» (ص: 123).

مهما يكن رأي القارئ في هذه الملاحظات، ومهما تكن قناعاته أو عدمها فيما ذهب إليه الدكتور، فإنه ترك المجال للدارسين ليحكموا على هذا التحليل، ويقولوا: هل أجاب عن السؤالين اللذين عرضهما؟ أي هل كان أبو مسلم زاهداً أم متصوفاً؟ وهل كان تصوفه إيجابياً أم سلبياً؟ هل ابتعد كلياً عن التصوف في مستوى التجربة الشعرية ولم يتجاوزها إلى مستويات أخرى أم لا؟

هذه نقطة أخرى يمكن أن تكون مجالاً مغرباً للدارسين كي يتعمقوا وينفذوا إلى داخل شخصية أبي مسلم. وهي من جملة النقاط التي تثيرها دراسة الدكتور القيمة.

* الاستنهاض في شعره:

يقي الدكتور حريصاً على إبراز الرؤية الإسلامية والمواقف الإيمانية في شعر أبي مسلم، فتكون له في هذا البحث هذه الوقفة المطوّلة مع عنصر الاستنهاض في شعره، هذا الجانب المهم - أيضاً - في كتاباته، الذي لم يسعه شعره فعلم نثره، وما كنه ونشره من مقالات صحفية بخاصة.

وقد ذهب الدكتور بعيداً حين قرّر حقيقة تخفي أسراراً كثيرة خطيرة في حياة أبي مسلم، وبخاصة ماله صلة وعلاقة بمحيطه. وهو ما يدفع الدارسين الشغوفين بالبحث والكشف أو اكتشاف الجديد إلى مواصلة دراسة هذه الشخصية ومعرفة كلّ شيء عنها، والإجابة عن الأسئلة المارة، وتوضيح النقاط الغامضة، وملء الثغرات الموجودة في حياة الشاعر. يقول الدكتور عن أبي مسلم: «أكاد أقول أن لو وجد الاستجابة من قومه سواء في عُمان أو زنجبار لاتخذ وسائلها الأخرى مثل

التعليم ومقاومة الفساد الاجتماعي وتحرير الفكر من التعصب والابتداع والخرافات التي هي كلّها مظاهر من عصور التخلف والانحطاط» (ص: 125).

فأبو مسلم بوصفه شاعراً صاحب رسالة محدّدة، كان يفعل ويتأثر لما يحدث أمامه، فكان يستجيب لنداء الضمير، ويتحرّك بدافع المسؤولية، وينافح بروح الحماسة الدينية، وينهض بوازع الحسّ الوطني... لينفخ روح التجديد والإصلاح والنهضة والعمل في نفوس أبناء الإسلام بعامة، وبني قومه بخاصّة.

أشار الدكتور إلى أنّه لعلّ الظروف السياسيّة والاجتماعيّة التي عاشها أبو مسلم في عُمان وزنجبار، وما كان يعيشه العالم الإسلامي من القهر والضميم من الاستعمار، وما كان يعاينه من انتشار التيار القومي المتعصب ضدّ فكرة الجامعة الإسلاميّة، ومن تصاعد موجة مقاومة فكرة القوميّة العربيّة، إلى جانب بقطة الأقطار العربيّة ونهوضها السياسي والاجتماعي وانتفاضاتها نحو التحرّر والاعتناق... لعلّ هذه الظروف أو العوامل هي التي جعلت من طلائع من وعوا واقعهم، وأدركوا رسالتهم، فتحمّلوا مسؤوليتهم: العلماء، والمصلحين، والأدباء: «فكان الأديب يعمل القلم ليصارع الطغاة والفساد، ويكتب ليث الإصلاح والتنوعية بين الطبقات الشعبيّة من أجل غد أفضل، ومن هنا يمكننا أن نعتبر أبا مسلم ضمن هذه الكوكبة من العلماء الإصلاحيين الذين برزوا في الساحة العربيّة والإسلاميّة من أمثال: جمال الدين الأفغاني، ومحمّد عبده، والكواكبي، والقطب اطفيش، ونور الدين السالمي وغيرهم» (ص: 124).

من بين الوسائل التي كان يعتمد عليها أبو مسلم في الاستنهاض؛ وسيلة التاريخ، لما فيه من آيات الاعتبار والادّكار، التي تدعو إلى الحثّ والمواكبة والمقارنة. فقد وقف كثيراً عند صور البطولة والجهاد، ومواقف الصراع بين الحقّ والباطل.

يرى الدكتور أنّ الاستنهاض - وهو رسالة يقوم بها الشاعر ضمن رسالته الإسلاميّة في هذا الوجود - حاضر ومنبث في معظم قصائده، لا تجلده موضوعاً

خاصاً في هذه القصيدة أو تلك، إنَّه موجود «في كلِّ كلمة يقولها الشاعر، خاطب نفسه أو غيره، ابتهل إلى الله متضرعاً، أو عاتب قومه محفزاً؛ وهو على وعي كامل بهذه الرسالة التي ندب شعره لها، ومن أجل ذلك قال:

لو يكون الشعر نصراً لم أزل أنظم الأنجم لا أرضى الدرر
لو ملكنا السيف لم نرجع إلى قلم في النصر؛ إن قام عثر»
(ص: 125-126)

قدّم الدكتور قصيدة الشاعر «النونية» غودجاً لهذه الرسالة الاجتماعية الإسلامية التي قام بها أبو مسلم، مستهضاً الهمم، محفزاً النفوس، محمّساً القلوب... هذه المطوّلة الرائعة «الفتح والرضوان» أو «النونية» التي تعدّ 383 بيتاً، ترجّم عن شخصية أبي مسلم وتكشف حقيقتها، حيث فيها طال نفسه وتدفقت شاعريته، وتعمّق تعبيره، وجمّل تصويره، وتجنّز شعوره، وتجلّت بوضوح رسالته...

القصيدة في أصلها استنهاض وحثّ على موازنة الإمام سالم بن راشد، إلّا أنّها احتوت على محاور تخدم الهدف العام الذي كان يرمي الشاعر الوصول إليه، وهو القيام برسائله الإسلامية، وحثّ الناس على الاستمسك بالنهج القويم، والسير في الصراط السويّ، والتزام الطريق المستقيم.

المحاور التي اشتملت عليها القصيدة - كما سجّلها الدكتور - هي:

- 1- الحنين إلى عُمان. 2- الدهر الخزون.
- 3- أمجاد عُمان. 4- الهداة من أئمة عُمان.
- 5- إمامة سالم بن راشد. 6- الاستنهاض.
- 7- مفاخير القبائل العُمانية. 8 استنهاض وعتاب.

يقول الدكتور: «ولعلّ أبرز ما في «النونية» وصفها الصادق المتفرض

للأحداث، التي واكبت الإمام سالم بن راشد الخروصي، الذي رأى أبو مسلم في إمامته نصراً مبنياً، وتحولاً تاريخياً، ينقل عُمان من عهد إلى عهد، ويدخل به إلى رحاب القرن العشرين ليواكب النهضة والاستقلال الذي أخذ كل العالم الإسلامي يتطلع إليه، ويعي بحق مصيره، وما يُراد به من أعدائه داخلاً وخارجاً» (ص: 128-129).

من اللوحات الفنية الرائعة التي تضممتها «النونية»، وقف الدكتور عند اللوحة التي وصفت السيف باعتباره رمزاً قوياً من رموز الاستنهاض وبث روح الجهاد، كما أنه موروث حضاري، يحمل دلالات الإباء والشرف والبطولة والشهامة...

وقد استغل الشاعر هذه الدلالات التي طبعها بها تاريخ المسلمين في جهادهم وفوحاتهم؛ ليدعو قومه إلى مقاومة الفساد ورفع الضيم ورفض الظلم ودفع العار... هذا هو الاستنهاض الحقيقي، الذي يختار الأسلوب المناسب، ويتقني الرموز الدالة للوحية، ويدغدغ العواطف، ويحرك المشاعر، ويستغل الومضات التاريخية.

قال الشاعر:

يا للرجال ذلّت حفيظتكم	إذا استطالت على الآساد حملان
إنّ السيوف التي كانت لسالفكم	ما ضمّها معهم رمس وأكفان
مريضة هي في الأحفان؟ أم مرضت	قلوبكم؟ أم نأى عنهنّ وجدان؟
بسّ السيوف إذا حلّت عواتقكم	وما بها لعتيق الجحد أحزان
لا تحجبوها إنّا في مغامرها	فإنّ تلك اليمانيّات ذكران
فديتكم أوردوها، إنّها عطشت	إن كان فيكم يلاهي الرّي عطشان

(ص: 80)

ثمّ وقف الدكتور عند بعض المخطّات الفنية التي تبرز هذه الظاهرة، ظاهرة الاستنهاض بشكل جلي وقوي؛ بالربط بين الشكل والمضمون، واختيار الأسلوب

الخطابي المناسب لهذه المواقف. كُلُّ ذلك براعة لم تنقص من القيمة الفنية لهذا الأثر الأدبي، كما أبرزَ وحلَّل الخيط النفسي المُحكَّم الذي ربط بين أجزاء القصيدة، ووقف عند خاصية الثنائية والعطف التي ميَّزت القصيدة، والتي أضفت عليها روح المقارنة والموازنة والمقابلة، التي تسهِّل عملية الحثِّ والمواكبة والتأسي، وبعدها تحصل النتيجة، وهي استحابة المخاطبين المتمثلة في النهوض والتحرك والعمل وتحقيق الأهداف والوصول إلى الغايات.

بهذا العرض المركز الهادف تمكَّن الدكتور أن يُبرز أنَّ الاستنهاض هو أحد المظاهر التي تكشف عن إسلامية الكتابة، والعمل عند أبي مسلم: رؤية وموقف، اعتقاداً وسلوكاً، فلم يكن تشويهاً أو مناهضة، ولا عملاً إرتجالياً أو ترفاً قولياً..

ولكي يؤكد الدكتور على الطابع الرسالي في استنهاض أبي مسلم، وثبت الارتباط التاريخي والتمسك بسُنن السلف في المسيرة واستلهام مشاعرهم ومواقفهم، في تأصيل المبادئ، والاسترشاد في التحرك، عقد مقارنة مهمة هادفة بين بعض مواقف أبي مسلم وسلفه التابعي الجليل: «أبي بلال مرداس بن حدير»، وذلك بعرض بعض أشعارهما، التي نلمس فيها العقيدة والصدق والإخلاص، والفداء والتضحية، والشجاعة، والزهد، والتقوى، والتفاني في حبِّ الله، والإسراع إلى نصرته دين الله، والانتقام من كُلِّ من يناله بسوء مهما يكن مقامه.

لا يستبعد الدكتور تأثر أبي مسلم بأبي بلال، كما لا يستغرب منه هذا التأثير: «فقد جمعت بين أبي بلال وأبي مسلم: العقيدة الصافية، هذه العقيدة التي تستمدُّ روحانيَّتها من القرآن الكريم وسيرة السلف الصالح، وتستروح معانيها وأغراضها ورؤيتها وموقفها من نبع واحد أصيل، وهو نبع الشريعة الإسلامية الدافق» (ص: 136).

أراد الدكتور من خلال هذه المقارنة البقاء وفيًا لخطة ملتزماً بخطته التي رسمها لنفسه في هذه الدراسة، ويتمثل ذلك في التأكيد على الرؤية الإسلامية التي تحكم

كتابات أبي مسلم، وفي هذا يقول في ختام هذه المقارنة: «هكذا كان أبو مسلم يسخر شعره من رؤية رسالية لأهداف استنهاضية، تستجيب لمتطلبات المرحلة السياسية والاجتماعية الصعبة، التي كانت تعيشها الأمة الإسلامية بعامة وعمان بخاصة قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى» (ص: 143).

* الحكمة في شعره:

يواصل الدكتور إبراز البعد الإسلامي في شعر أبي مسلم، فتكون له في المبحث الموالي وقفة مع الحكمة في شعره. الحكمة التي تكشف عن التجربة العميقة والتأمل الكبير والنضج العقلي...

سجل الدكتور لأبي مسلم نزوعه منزع الحكمة في شعره في كثير مما نظم؛ حتى غدا هذا الاتجاه في شعره من بين الاتجاهات الأكثر وضوحاً ودلالة على شخصيته، وذكر أن له وقفات تأملية حكيمة في الدنيا وأحوالها التي كان دائم السخرية منها والتهكم بها؛ شأن المؤمن الذي لا يعير اهتماماً كبيراً لخراف الدنيا ومتاعها الزائل، ولا يهتم من صروفها وخطوبها، لأن له ثقة في ربه، ولأن نفسه تطلع إلى ما في الدار الباقية.

كان الشاعر دائم التأمل في حقيقة الحياة والموت. وكان ينظر إليها بمنظار إسلامي محض. وقد ربط الدكتور بين هذو الرؤية ورؤية الشراة، سلف الشاعر، وقال: «وقد عرف أدب الشراة بهذا الاتجاه، غدا سمة ومن سماته وموضوعا من موضوعاته... فليس بعيداً أن يكون أبو مسلم قد تأثر بهذا الأدب، وتشبع به، إضافة إلى ما عرّف عنه من مقومات ذاتية، وتربية روحية، أهلتة أساساً إلى الاهتمام بهذا الموضوع والكتابة فيه» (ص: 147).

ذكر للشاعر موقفه من المال، وكيف يجب على المؤمن أن يتصرف معه بتوجيه

إِسْلَامِيَّ: كَسْبًا وَإِنْفَاقًا وَتَسْخِيرًا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، كَمَا أُبْرَزَ عِلَاقَتَهُ بِالدُّنْيَا؛ وَهِيَ عِلَاقَةٌ صِرَاعٍ دَائِمٍ مِنْ أَجْلِ الْحَصُولِ عَلَى الْأَفْضَلِ، وَمِنْ أَجْلِ السَّيْطَرَةِ عَلَيْهَا، حَتَّى لَا تَسْلِبَهُ الطُّمُوحُ وَالْعَمَلُ وَالتَّحَرُّكُ. وَقَدْ عُرِفَ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ: صِرَاعُهُ الدَّائِمُ مَعَ الدَّهْرِ، «وَفِي شَعْرِ أَبِي مُسْلِمٍ يُلْحِظُ الْقَارِئُ كَثْرَةَ وَرُودِ هَذِهِ الْمَفْرَدَةِ (الدَّهْرُ) وَرُودًا يَكَادُ لَا تَخْلُو فِيهِ صَفْحَةٌ مِنْ صَفْحَاتِ دِيْوَانِهِ، وَنَحْسَبُ أَنَّ هَذِهِ الْمَفْرَدَةَ مِنْ أَكْثَرِ الْمَفْرَدَاتِ اسْتِنَارًا بِقَامُوسِهِ الشَّعْرِيِّ» (ص: 153).

كَمَا أَبَانَ الدُّكُورُ عَنْ اعْتِقَادِ الشَّاعِرِ فِي الْمَوْتِ، الَّذِي لَا يَخْرُجُ عَمَّا تُشِيرُ إِلَيْهِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ.

سَجَّلَ الدُّكُورُ فِي مَوْضُوعِ الْحِكْمَةِ: فِي شَعْرِ أَبِي مُسْلِمٍ النَّتَائِجُ الْآتِيَةُ:

1- فُهِمَ الشَّاعِرُ لِلدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ كَانَ فَهْمًا عَمِيقًا؛ بَنَزَعَتُهُ مَنَزَعًا زَهْدِيًّا إِبْجَائِيًّا، يَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي الدُّنْيَا، مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ مَنَعَزِلًا عَنِ الْجَمَاعَةِ، وَلَا نَافِرًا مِنَ الدُّنْيَا.

2- التَّأَمُّلُ الْعَمِيقُ الْوَاعِي فِي الدُّنْيَا وَأَحْوَالِهَا، دَافِعُ ذَلِكَ الْحَرْبِ الْقَاسِيَةِ الْمَعْلَنَةِ الْمُسْتَمِرَّةَ بَيْنَ الدَّهْرِ وَأَبِي مُسْلِمٍ.

3- بَقِيَ أَبُو مُسْلِمٍ - رَغْمَ كُلِّ ذَلِكَ - مُسْلِمًا فِي شَعْرِهِ، مُؤْمِنًا رَاسِخًا الْإِيمَانَ، حَرِيصًا عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، مَهْمَا يَعْظُمُ الْخُطْبُ، وَتَشْتَدُّ الْحَنُ وَيَتَأَلَّبُ الْأَعْدَاءُ.

4- «قَدْ يُلْحِظُ الْقَارِئُ أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ - وَهُوَ يَصَارِعُ الدَّهْرَ - نَوْعًا مِنَ الْاعْتِزَازِ بِالنَّفْسِ وَالثِّقَةِ بِهَا، قَدْ يَرَاهُ بَعْضُ النَّاسِ ادِّعَاءَ وَغُرُورًا، وَلَكِنْ عِنْدَ التَّأَمُّلِ تَبَيَّنَ، أَنَّ اعْتِزَازَ مُؤْمِنٍ بِرَبِّهِ، مَقْرَّبُضْعْفَهُ، مُسْتَجِيرٌ دَوْمًا بِنَصْرَتِهِ، وَتِلْكَ سِمَةُ طَالِمَا لَوْحِظَتْ عِنْدَ الشُّعْرَاءِ الَّذِي يَصْلَحُونَ عَنْ عَقِيدَتِهِمُ الْإِسْلَامِيَّةَ الصَّافِيَةَ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُونَ وَمَا يَنْزِلُونَ، وَهِيَ سِمَةُ شَعْرِ الْفَخْرِ عِنْدَ الشُّعْرَاءِ الْفُقَهَاءِ» (ص: 155-156).

* الحنين في شعره:

إنَّ الروح الإسلاميَّة أبداً لا تختفي من شعر أبي مسلم، مهما تكن حاله، وتبدل الأوضاع، ومهما يكن الدافع إلى الكتابة - وإذ كسب عليه أن يعيش جُلَّ حياته بعيداً عن وطنه عُمان، فإنَّ نفسه المليئة إيماناً، وقلبه المفعم حباً لوطنه، أياً عليه إلا أن يعيش أجواء بيته بكلّ جوارحه وروحه، تاريخها، أحداثها وحوادثها، مسراتها وأحزانها، آمالها وطموحها ماضيها وحاضرها... وقد ترك لنا شعراً كله حنين وشوق إلى هذا الوطن العزيز عليه، حنين طبعه بروح إسلاميَّة عالية؛ إذ لا يشعرُك إلا أنَّك تعيش مع القيم والمبادئ والمفاخر والمآثر، وأنَّك لا تلتقي إلا مع حبِّ العمل والقيام بالواجب، والحرص على أداء الأمانة وحمل الرسالة وتحمل المسؤولية.

حاول الدكتور - في هذا البحث القيم والدراسة المعمَّقة - وبراعة وقدرة كبيرة على التحليل والاستنباط، أن يقدم لنا صورة جيِّدة عن طبيعة الحنين في هذا الشعر الملتزم، وعن نقط الارتكاز فيه، وعن بعض الخفايا فيه، ولو كانت إشارات فقط، إلا أنَّها إيماءات يدرکها اللبيب، صاحب البصيرة المتيقِّظة والنظر البعيد. يمكن أن نوجز هذِهِ الإشارات في النقاط الآتية:

1- إنَّ الشاعر تمثَّل بيته الأصليَّة (عُمان) تمثلاً كبيراً حيّاً، رغم أنَّه غادرها وهو دون العشرين من عمره، واستفاد من بيته التاريخيَّة فائدة كبيرة في تكوينه، وفي توجيه حياته الشعريَّة توجيهاً خاصاً.

2- وصفه وحنينه؛ تعبير صادق عن حالته النفسيَّة التي كان عليها هو في ديار الغربة، هذِهِ الحالة تشبه كما يقول الدكتور: حالات الوجد الصوفي لأنَّ «كلَّ نائمة أو حركة أو منظر له علاقة بوطنه... تستطير في فؤاده نوازع التذكُّر والحنين» (ص: 160).

قال أبو مسلم:

معاهد شاقني منها محاسنها إن شاق غيري آرام وغزلان
لها على القلب ميثاق يبيء بها إن باء بالحب في الأوطان إيمان
نزحت عنها بحكم لا أغالبه لا يغلب القدر المحتوم إنسان
كأنني واغترابي والغرام بها حيّ قضى خلفته بعد أحزان
هي النوى جعلتني في محاجرها مثل الخيال وروحي ثم جثمان
أعيش في غربة عيش السليم على رغمي، وليس الترياق إمكان
(ص: 162)

ج- يقول الدكتور: «إذا تعود الشعراء، أن يتحرك حينهم إلى الأوطان لأغراض حسية، بعضها الشوق إلى الألفة والحبائب، التي رمز إليها — على عادة العرب — بالآرام والغزلان، فإن الذي يحرك الشوق في قلب أبي مسلم المحاسن لا الحُسن، والمآثر لا الآثار، والمعاني لا المباني؛ لأن الذي يربطه بهذا الوطن أسمى وأعمق من أن يتمثل في ظلل بال أو غزال أهيف» (ص: 162-163).

هذه الملاحظة مهمة؛ لأنها تبين طبيعة الحنين الذي صدر من أبي مسلم، وتميز بذلك الإيجابي منه، الذي يخدم القيم والمبادئ والرسالة، عن السلي، الذي يهتّم الشخصية، ويستهنّ بالمقومات، فأبو مسلم لا يحنّ إلى المرايع والمراسع والمناجع لاعتبارات مادية دنيوية، بل هو يحنّ إلى ما تحمله بين طياتها وزواياها من قيم معنوية وأخلاق إسلامية عالية ومآثر ومفاخر ومشاعر وشعائر...

قال أبو مسلم:

إذا لاح برق سابقته مدامعي وليت انطفاء البرق للغرب عاصم
لئن خائني دهري بشحط معاهدي فقلبي برغم الشحط فيهنّ هائم
وإنّ هيام القلب فيها وقد نأت وسائل في شرع الهوى ولوازم

فيا لفوادي ما التباريح والجرى فعلى إذا ازدادت عليه اللرائم
عَلَى أَنَّ ذَكَرَ النَّفْسَ عَهْدًا وَمَعْهَدًا أَمْضُ بِهَا مِمَّا تَمَجُّ الْأَرَامِ
(ص: ١٤٤)

وقال أيضًا:

نشأت فيها وروضاتي ومرتعي روح الفضيلة لا رند وريحان
أرتاح فيها إلى خلّ فيبهرني صلق وقصد ومعروف وعرفان
(ص: ١٤٥)

٤- حنين أبي مسلم؛ حنين إلى الجهاد، والقيام بالواجب، وحنين إلى مجاهدة النفس، والتوق إلى النعيم الأبدي والرضوان الخالد، على الطريقة التي عرف بها سلفه الشراة، الذين يعتز بمبادئهم وسيرتهم، ويحرص على ترسم خطاهم والسير في نهجهم واقتفاء أثرهم.

بهذا العرض القيم الذي قدّمه الدكتور يبرز هذا الجانب الهام في شعر أبي مسلم، الذي يكشف هو أيضًا عن إيمان الشاعر الحقيقي؛ لأنّ الجانب الذي يبين عن خلجات النفس، وما تشعر به، ويجد فيه اللاشعور الفرصة في حال احتدام للمشاعر وتوقّر النفس، لينفلت من رقابة الأنا، وقبضة الأنا الأعلى ليكشف عمّا بداخله من الأفكار المحظورة والمشاعر المبكوتة... ومن هنا يكون الحنين من أفضل ما يترجم عن حقيقة ما يفكر به الإنسان، وما يطمع في الوصول إليه، وما يعتقده ويهواه.

والشاعر أبو مسلم وجدناه من خلال ما ذكره الدكتور وفيّاً لمبادئه، محافظاً على خطه النفسي، ملتزماً بما كان يؤمن به، وقد وجّه هذا الحنين إلى ما يندم القيم والأخلاق والسلوك الحسن. عن هذا يقول الدكتور: «هكذا يتجلّى لنا بوضوح كيف تغلو النفحة الشعرية عند أبي مسلم رؤية يشملها الدين الإسلامي، إنشائها المنطلق لكلّ أحاسيس الشاعر، حتّى شوقه إلى وطنه» (ص: 196).

إنَّ المتأمل في نشات الشاعر وزفراته ومشاعره، وفي ملاحظات الدكتور، يدرك تمام الإدراك أنَّ الشاعر كانت رغبته ملحّة في مشاركة إخوانه وبني وطنه العُمانيين في الجهاد، وفي النهضة، وفي إخراج البلاد من التخلف والتدهور...

هذا هو النظر الإسلامي أو الرؤية الإسلامية أو الصلور الإسلامي للحنين؛ حنين إلى العمل الصالح، إلى القيام بالواجب، إلى التضحية... إلّا أنَّ السؤال الذي يقلّعه القارئ: لماذا لم يتقل الشاعر إلى عُمان ليشترك عن كسب في الأعمال التي يقوم بها العُمانيون؟ ما هي الأسباب الحقيقية التي منعتة عن ذلك؟ لماذا غادر وطنه عُمان؟ ولماذا لم يرجع إليه رغم ارتباطه به روحياً وتعلّقه الشديد به اللافت للانتباه، والمثير للدهشة والاستغراب؟ وماذا كان يحرك أشجانه وعواطفه، وما الذي كان يضخم من مأساته، وهو يعيش أو يعايش أحداث عُمان والحياة اليومية فيه؟ ما أسباب ذلك غير ما ذكره الدكتور؟

وماذا كان يرمي أبو مسلم الوصول إليه، وماذا أراد أن يقوله، خاصّة وأنّه شاعر صاحب رسالة، وأنّه لا يقول ما يقول عن الهوى، أو لتزجية الوقت، أو لترف القول...؟

هذه الأسئلة هي إحدى النتائج التي يخرج بها القارئ، وهو يتصفّح هذا المبحث اللطيف الرائع من دراسة الدكتور، الذي أعلّنه شخصياً من أهمّ مباحث الكتاب.

* الرثاء في شعره:

وفي جانب آخر من شعر أبي مسلم يُبرز الدكتور الرؤية الإسلامية في كتاباته، إنّه جانب الرثاء، الذي يعبر فيه الشاعر عادة عن حزنه، وعن فراق الأجيّة والأصدقاء، ومن لهم مكان في القلب وعلاقة بالشخص الرائي.

إِلَّا أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ لَمْ يَكُنْ يَنْوِبُ فِي الرِّثَاءِ، وَلَا كَانَ يَجْزَعُ فِيهِ وَلَا يَتَحَبَّبُ، بَلْ كَانَتْ الْغِيْرَةُ الْإِسْلَامِيَّةَ تَدْفَعُهُ لِكَيْ يَرِثِيَ الْإِسْلَامَ لِفَقْدِ أَحَدٍ حَامِيهِ وَدَعَاتِهِ، وَكَانَ هُوَ يَلْتَزِمُ بِالتَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي هَذَا الرِّثَاءِ.

من خلال بعض الإشارات التي ذكرها الدكتور، ويَسِّنُ فيها طبيعة الرثاء عند الشاعر، والتي تُوجِزُهَا فيما يلي، نكشف الرؤية الإسلامية في هَذَا التناول:

1- رثاء أبي مسلم تعبير عن الإحساس الجمعي؛ لِأَنَّ أَغْلَبَ الَّذِينَ رثَاهُمْ عُمُودٌ فِي مَجْتَمَعَاتِهِمْ، فَقَدْ هَمَّ لَا يَحْدُثُ فَرَاغًا فِي تِلْكَ الْمَجْتَمَعَاتِ فَحَسَبَ، وَإِنَّمَا يَمْسُ الْعَالَمُ الْإِسْلَامِي كُلَّهُ. لِهَذَا يَقُولُ الدُّكْتُورُ: فَإِنَّ الْمَعْجَمَ الشَّعْرِي لِهَذِهِ الْقَصَائِدِ يَدُورُ كَثِيرًا حَوْلَ الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةِ: الدِّينَ، الْإِسْلَامَ، الْعِلْمَ، الْأُمَّةَ...

2- رثاؤه بعيد عن العويل والانتحاب، بل هو «حزن مؤمن بقضاء الله وقدره، مؤمنٌ يدرك أَنَّ الْمَوْتَ كَأَنَّهُ كُلُّ النَّاسِ شَارِبُوهُ» (ص: 176).

3- مراثيه عادة ما تتحوَّلُ إِلَى نَصَائِحَ وَعِظَاتٍ وَمَوَاقِفَ لِلتَّأْمُلِ وَالاعتبار من الموت، بالرجوع إِلَى النَّفْسِ وَمَحَاسِنِهَا قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ - كَمَا أَنََّّهُ كَانَ يَكْفِي فِي هَذِهِ الْقَصَائِدِ: الْإِيمَانُ، التَّقْوَى، الْفَضْلُ، الْعِلْمُ، الْعَمَلُ الصَّالِحُ... لِأَنَّ هَذِهِ الْقِيَمَ إِنْ فُقِدَ الشَّخْصُ الَّذِي يَتَّصِفُ بِهَا لَحَقَتْ بِالْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَسَارَةٌ كَبِيرَةٌ.

4- توفُّرُ شِعْرِهِ الرِّثَائِيِّ عَلَى خِصَائِصَ شِعْرِ الشَّرَاةِ الَّذِي يَعْبُرُ عَنْ «حِزْنِ الْمُؤْمِنِ الصَّابِرِ، الْمُعْتَزِّ بِالشَّهَادَةِ، الْمُتَشَوِّقِ إِلَى الظَّفَرِ بِهَا، أَوْ كَانَ نَوْعًا مِنَ الْفَخْرِ بِمَنَاقِبِ الْفَقِيدِ، فَخَرَّ الْمُتَطَلِّعُ إِلَى الْمَوْتِ فِي مَيْدَانِ الْجِهَادِ فِي الدُّنْيَا وَجَوَارِ اللَّهِ وَالْإِخْوَانِ فِي الْآخِرَةِ» (ص: 176-177).

مرَّةً ثَانِيَةً يُوكِّدُ الدُّكْتُورُ عَلَى هَذِهِ الرَّابِطَةِ وَالصِّلَةِ الْقَوِيَّةِ بَيْنَ شِعْرِ أَبِي مُسْلِمٍ

وشعر الشراة وعقيدتهم، التي كانت تتظم حياتهم، وبذلك ضربوا أروع الأمثلة في الالتزام بشرع الله، والصدور عنه في كل مواقفهم.

هذه الإشارة تؤكد مرة أخرى الصبغة الإسلامية لشعر أبي مسلم.

* خصائص شعره :

- في هذه الخلاصة نجمل بعض ما قاله الدكتور متفرقاً في دراسته:
- 1- إن شعره كل لا يتجزأ لأن له رؤية شمولية، تنظر إلى الإنسان المسلم من خلال كل موضوع يعالجه.
 - 2- شعره يلور كثيراً في مجال الاستهاض والتبشير بكل حركة تقوم لاسترداد عزة الإسلام والمسلمين أينما كانوا، ويربط المسلم في كل مواقفه بالأصل، وهو العقيدة الصحيحة التي تنفع إلى مقاومة الظلم.
 - 3- المزج الكلي بين الشكل والمضمون «فهو لا يعرض عليك التاريخ أحداثاً ووقائع جامدة، ولا يذكر بالقبائل والقرى العمانية أسماء تترى وتوالى، إنما هو يصب ذلك كله في صور فنية متحركة نابضة بالحياة، متوثة بالمشاعر، فترى العاطفة الصادقة بارزة في كل كلمة يخطها حتى ولو كانت أحداثاً تاريخية مضت عليها القرون، كما فعل ذلك في (النهرانية) أو كما جسم ذلك من خلال الصور الفنية النابضة، وهو يحل كل قطعة في أرض عُمان في (النونية) وصدق من قال فيه: «إنه - فيما نعتقد - كان شاعراً فقيهاً، أو شاعراً مؤرخاً، أو شاعراً نسابة، أو شاعراً متحمساً لفكرة وطنية، ولم يكن فقيهاً يلجأ إلى الشعر ليصب فيه آراءه، أو عالماً بالتاريخ والأنساب يقدم للناس فكرته في شكل منظوم، أو

متحمساً لأفكار قوميّة يستعين بموسيقى الشعر على جمع القلوب حولها، لكنه كان قبل كل شيء، شاعراً يسلط بصيرته الشعرية على حقول مختلفة فأكسبتها كثيراً من لون الربيع الشعري ومناخه»^(١) (ص: 18-19).

4- شعره ظلّ محافظاً على بعض الأصول التي غزته في طفولته — كما يقول الدكتور — مثل القرآن الكريم والشعر العربي القديم.

5- يمتاز شعره بالحيوية والتجلّد في اللغة والتصوير والتعبير: «ولا نشكُّ إطلاقاً في أنّ البيئة الجديدة التي عاش فيها في زنجبار كانت من العوامل القويّة في إكساب أدبه هذِهِ الشاعريّة الفياضة، فقد انتقل من اللون الصحراوي الذي تغلب عليه الصفرة ووحشة الجذب إلى اللون الأخضر الذي يبعث البهجة في النفوس، ويضيء في حناياها الأمل والانشراح» (ص: 24).

6- يمتاز الشاعر بالأصالة والقوّة في كلّ بيت يقوله، وما سرُّ قوّته وأصالته غير التوافق التام بين شخصيّته وإبداعه.

7- شعر الحكمة عنده مفتاح من المفاتيح التي تفتح بها مغاليق شعره، ونفهم على أساسها أبعاده العقليّة والنفسيّة. كما أنّ الإيمان بالله مفتاح شخصيّته وهُوَ أيضاً مفتاح شاعريّته (ص: 19).

8- الخيط النفسي يربط ربطاً محكمًا بين أجزاء القصيدة عنده.

9- الثنائيّة ظاهرة بارزة في شعره: «إنّ هَذَا الاتجاه في فكره يعود إلى نزعتة التأملية، ومنهجية فكره التي تعتمد الموازنة بين الأشياء والتقابل أو التضاد فيها، فهناك الخير والشرّ، والثواب والعقاب، والدنيا والآخرة، والرجل والمرأة، حيث

1 - مدخل إلى دراسة الأدب في عُمان، ص: 155.

الشائيات التي بُنِيَتْ عليها الحياة والكون والناس» (ص: 134).

10- قصائد الابتهاال عنده تتسم في الأعم الأغلب بالتكرار اللفظي والمعنوي؛ لأنها ترجمة صادقة لخلجات الشاعر النفسية (ينظر ص: 57).

11- الأسلوب الخطابي من أبرز الخصائص الفنية في شعره؛ إذ أنه استجابة لدافع موضوعي، فرضه الواقع الذي كان يعيشه هو نفسه، بما ترك في نفسه من انعكاسات نفسية، جعلته يتحرك ليخاطب غيره، يخاطب فيه قلبه وعقله، ويدعوه لينهض ويصلح من حاله. لهذا كثر في شعره الاستفهام والتعجب والأمر والنهي والحث والتحريض والدعاء والدعاء، إلى غير ذلك من الأدوات التي تعين على استنهاض الهمم وشحن العزائم، يقول الدكتور: «فأبو مسلم إذن حين استخدم هذِهِ الأدوات الفنية كان واعياً بملولاتها النفسية والتبليغية كَلَّ الوعي، فقد اختار أن يكون شعره شعراً رسالياً، يبلغ القيم الأخلاقية والتطلعات الوطنية والمبادئ الإسلامية إلى الآخرين، فكان لا بُدَّ من توظيف كَلِّ العناصر الفنية لضمان وصول هذِهِ الغاية، وهو محقُّ فيما ذهب إليه» (ص: 185).

12- «أجمل ما في شعر أبي مسلم أنه يعلم الفكر والأدب معاً، ويخاطب العقل والقلب سوياً، وقلة من الشعراء هم أولئك الذين يجمعون في شعرهم هذِهِ الخصائص» (ص: 194).

إشارات مهمة

أولاً: لم يكن أبو مسلم قوميًا.

إنَّ الشاعر أبا مسلم لم يركن إلى الدعاوى القومية أو الإقليمية؛ فَإِنَّهُ يرى كُلَّ هَذِهِ الدعاوى من رواسب الجاهليَّة (ص: 39)، فهو لم يكن «قوميُّ النزعة» كما يرى ذلك صالح الحارثي^(١) أو كان ينظر إلى «أفق قومي» كما ذهب إلى ذلك أحمد درويش^(٢)، فقد ردَّ الدكُّور على هذين الرأيين أو هاتين الفكرتين (ص: 41) بتحليل نماذج من شعر الشاعر نفسه، وتناول القصيدة التي اعتمدها من قَرَّر أنَّ أبا مسلم قوميُّ النزعة، استخرج منها النفس الإسلاميَّة والرؤية الإسلاميَّة، بدل النزعة القومية أو النظرة القومية، إِنَّهَا القصيدة التي يَبِّن فيها الشاعر موقفه من المؤتمر الإسلاميِّ، الذي عُقِد في القاهرة، تحت إشراف رياض باشا سنة: 1911، في المؤتمر كشف النقاب عن مؤامرة الأقطاب ضدَّ المصريِّين المسلمين (ص: 41).

بعد التوضيح والتحليل يقرِّر الدكُّور في النهاية ما يأتي: «ونودُّ أن نقرِّر في آخر هذا البحث أنَّ أيَّ محاولة لحمل أيِّ مسلم على هذا الاتجاه القومي الضيق هو ظلم للشاعر، وظلم لشاعريَّته، وظلم للحقيقة التاريخيَّة والموضوعيَّة العلميَّة والدراسة النقديَّة، ولا عِرة بأولئك الذين يخضعون الأدب للسياسة، ويطوِّعون المنهج والمبادئ للمصالح، لأنَّ الزيف إن توارى عن الأعين زمنًا لا بُدَّ أن يجيء يوم

1 - ينظر مقدِّمة ديوان أبي مسلم، ص: 12-14.

2 - مدخل إلى دراسة الأدب في عُمان، ص: 155.

تكشف فيه حقيقته للناس، والله الأمر من قبل ومن بعد» (ص: 44).

واضح من هذا النص أنَّ الدكتور كان حريصاً على أن يبقى على النفس الشعري عند أبي مسلم نقيّاً صافياً من كلِّ ما يشينه، وعلى الخيط الشعري النفسي واحداً موحدًا، كما أنتجته قريحة الشاعر، وكما أفرزته طبيعته المتشبعة بالإيمان الصادق، أراد أن يبيِّنَ إلى ضرورة التزام الصدق والأمانة في تناول الآثار الأدبية، بعدم استغلال الفرص والمناسبات لتمرير بعض الأفكار والنظريات، وعدم الرضوخ للظروف والعوامل الضاغطة لتكوين ما يتناول من آثار أدبية بألوان أو بصيغة السياسة الآنية، وعدم الاستجابة الساذجة لما يعنُّ وما يطرأ من دون التعمُّق والتروِّي والتبُّت.

في هذه الملاحظة إنصاف للرجل، ودعوة لإعادة النظر في بعض الأحكام التي أبديت عن الشاعر. وهذا الردّ وهذه الوقفة تهدف أساساً إلى تأصيل الرؤية الإسلامية في تناول الآثار الإسلامية لإبراز ما فيها من هذه الروح شكلاً ومضموناً، تعبيراً وتصويراً؛ للوقوف في وجه الردّات المختلفة المتلوّنة المتسرّبة بالسرايل المتنوعة الكثيرة، الردّات التي أفرزتها الحداثة وما بعد الحداثة^(١)

ثانياً: نزعة التصوّف في شعر أبي مسلم:

إنَّ الباحث يثبت الصلة الكبيرة بين ابتهالات أبي مسلم وشعر النصوص؛ إذ أنَّها كانت تستلهمه أحياناً، وتستمدُّ منه النفس الشعري: لغة وتعبيراً وتوظيف

١ - تراجع كتاب الدكتور عمّاد ناصر، حداثة أم ردّة، ط١، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيّب، سلطنة عُمان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣.

مصطلحات معروفة عند المتصوفة، ولها دلالات خاصة عندهم (ص: 62)، إلا أنه يَبِّه إلى التفريق بين نزعة التصوف عند هؤلاء، والتي عرفت عن أبي مسلم، ومن لم يهتد إلى هذا الفرق، ولم يفصل تصوفه عن تصوف بقية الشعراء، الذين عُرِفُوا بالمتصوفة خالفه التوفيق، وحالفه الزلل؛ لأن نزعة هؤلاء اتسمت بما عُرِفَ عن عصر الانحطاط، أو تسرَّب إليها ما رسب في هذا العصر. في هذا يقول الدكتور:

«فقد ينظر الدارس السطحي إلى نزعة التصوف في شعر أبي مسلم كما ينظر إلى هذيه النزعة عند غيره من شعراء التصوف، وما أكثرهم، ولا سيما في عصور الانحطاط، وهو إن فعل ذلك جانبه الصواب لا محالة، ولم يلمس حقيقة أفكار الشاعر ومواقفه ورؤاه؛ لأن منطلقات التصوف عند أبي مسلم منطلقات عقديّة إيجابية لها علاقة بعقيدة الشاعر ونظرتة إلى الحياة، ومحاولة منه لفهمها، لا الهروب منها» (ص: 30)⁽⁷⁾.

ثالثاً: شعر أبي مسلم متأثر بشعر الشراة:

يقرّر الدكتور أن شعر أبي مسلم صورة صادقة عن شعر الشراة، هذا الشعر يترجم عن العقيدة الصحيحة الصادقة الصافية، ويثبت السلوك الحسن القويم، وينشر القيم الفاضلة النبيلة، ويقدم مقومات الشخصية السويّة. شعر أبي مسلم يصبُّ كله «في هذا البحر الخضمّ، بحر الإيمان بالله ورجاء ما عنده قولاً وعملاً» (ص: 25).

قال أبو مسلم:

1 - ينظر ص: 76 وما بعدها، وص: 101.

جزى الله أهل النهروان وضاعة
كما جاهلوا في الله حقَّ جهاده
وماتوا كراماً قانتين وكتهم
شراً، سرّاً لا يخطّ غبارهم
إذا انتهكت من دين الإسلام حرمة
نفوسهم حيث ابتلوا وجه ربهم
ندين لوجه الله طوعاً بحبهم
وما فوق مرضاة الإله أجور
وقاموا بما يرضي، وفيه أبروا
وكلهم على اللوت صبراً هناك شكور
وإن أبلجت فوق الأمور أمور
فليس لهم عيش هناك قرير
قرايين منهم قدّمت ونلور
وما شأنان للملحين مضير
(ص: ٢٥)

وقال أيضاً:

أولئك أبرار الإباضية الأولى
هم القوم أحرار الوجود سمّت بهم
محبتهم ديني بها أبتغي الرضا
ودعوتهم لي سنة وجماعة
على نهر (حرقوص) و(زبد) كولوع
إلى الله عن حظ سيواه المنازع
إلى الله والزلقي، وهم لي ذرائع
أجاهد في إحيائها وأقارع
(ص: ٢٥)

إحساس الشاعر القوي بالانتماء إلى الشراة كثيراً ما دفعه إلى الغوص في أعماق التاريخ، مصوراً أحداثه، مستطفاً حوادثه، مستخرجاً منها العبر. كما كان يثير كثيراً إلى بعض المسائل في عقيدة الشراة، عن طبيعة أدب الشراة، الذي كان أبو مسلم يستلهمه ويسترشد به يقول الدكتور إحسان عباس: «وإن الدارس لأدب الشراة في كلِّ عصوره، ولاسيما في عصره الذهبي منتصف القرن الأوّل والقرن الثاني الهجريين، يلاحظ ولا شك ما يميّز به ذلك الأدب من نزعة صوفيّة

زاهدة، تنظر إلى الدنيا وما فيها من لذات على أنها عرض زائل ومتاع باطل، خليق بالاحتقار والازدراء، وهي ترنو إلى حياة أخلد، ولذة أبقي، وعالم أمثل...» (ص: 31)^(٩).

ويقول الدكتور محمد ناصر عن الشراة: «هذه الروح الإيمانية المنتفضة التي تغيش للإسلام وحده لا لغيره، وتدعو إلى الاحتكام إلى القرآن وحده دون سواه، هي روح ودعوة الشعراء الشراة، وهذا معلم بارز في شعرهم، على نهجه سار أبو مسلم فإن آباءه الذين يفتخر بهم هم رجال تزيّنوا بالإيمان وتحملوا بالتقوى وشرفوا بالإسلام» (ص: 30).

قال أبو مسلم:

رجال سعوا لله سعيًا مباركًا	فما قطعنهم عن رضاه القواطع
أنابوا إلى الله اتّباع سبيله	فما صدّعتهم في السبيل الصلّوات
فما جمعوا ما فرق الله جمعه	ولا فرقوا في الدين ما الله جامع
أولئك أهل الحق ما ضلّ مقتفٍ	هلهلهم، ولا يغوي عليهم متابع
أولئك أهل الفهم ما جار فهمهم	عن الله، ما يقضي وما هو شارع
أولئك أهل الخير أمّا حياتهم	فغنم، وأمّا ذكرهم فذرائع
أولئك أهل الفضل حتّى ولو فنوا	لهم بركات في الدنى ومنافع
أولئك أشياخي فجئتني عملهم	إذا جمعتنا يا جرير المراجع

(ص: 40)

1 - ينظر، د. إحسان عبّاس، الخطابة في عصرها الذهبي، ص: 166.

* نتائج الدراسة:

من النتائج المهمة التي توصل إليها الذكور في ختام دراسته القيمة الجادة للركزة ما يأتي:

1- إنَّ الشاعر أبا مسلم شاعر إسلامي: نباتا في العقيدة، وأصاله في التعبير، ونبالة ووضوحاً في الأهداف.

2- سخر شعره للدعوة إلى مبادئ الإسلام الصحيحة والإرشاد بالقيم والأخلاق.

3- اتخذ الشعر أداة دعوة إلى الله، وأداة دعاء وابتهاال للسمو النفسي وتطهير النفس من الذنوب وأوضار الدنيا، وقد استحوذ الابتهاال على ما كبه شعراً.

4- عالج كلَّ الموضوعات التي عرفها بيته، وعرفت في زمانه، سواء ما كان منها ذا طابع ذاتي أو ما كان منها ذا طابع غيري.

5- يمتلك موهبة شعرية معتبرة، لهذا جاءت صياغته مقبولة: فكراً وفناً.. فهو يملك لغة قوية، تغترف من القرآن الكريم والأدب العربي والثقافة الإسلامية بعامة: «لهذه الأسباب جميعاً نستطيع القول - مطمئنين - إنَّ الشاعر أبا مسلم كان شاعراً إسلامياً في رؤيته، وفي موقفه وفي لغته وفي آدابه، وهو بذلك يحقُّ له أن يسمى حسَّانَ عُمان، كما يطلق على نفسه بنون منازع» (ص: 196).

قال أبو مسلم عن نفسه:

لا يصدق الدين إلا من ينلصحه ولا يتم بغير النصح إيمان

تلكم وصيَّة حسن لكم ثبتت فإني اليوم للإسلام حسان

* ملاحظات:

نسجِّل في هذِهِ الصفحات، وفي ختام هَذَا العرض، بعض الملاحظات التي نراها ضروريَّة، والتي تلقي بعض الضوء على دراسة الدكتور:

1- اعتنر الدكتور محمد ناصر على الاختصار في دراسته لشعر أبي مسلم؛ وهو يراها فقط مدخلاً للولوج إلى العالم الشعري للشاعر، وهي ليست سوى إسهام في وضع أسس في سبيل خطَّة أكثر إحكاماً ودقَّة لدراسة شعر الرجل. وما هي إلاّ واضعة لمفاتيح في طريق هذِهِ الدراسة المرتقبة منه أو من غيره، لهذا اكتفى بعض النماذج في الاستشهاد على ظاهرة أو في تحليل موقف أو تسجيل خاصيَّة، مع ذلك فإنَّ الدراسة اتسمت بالعمق والجدَّة والجديَّة.

2- نبَّهت الدراسة إلى ضرورة إعادة النظر في بعض الأحكام التي أطلقت على شعر أبي مسلم، وإعادة دراسة شعره للتعمُّق فيه، حتَّى يحلَّ المحلَّ اللائق به.

3- حرص الدكتور على البقاء مرتبطاً ومحافظاً على الخط الذي رسمه لنفسه ووضعه لدراسته، وهو إظهار إسلاميَّة شعر أبي مسلم؛ لهذا كان في كُلِّ مرَّة يَبِّه القارئ إلى المنطلق الذي ينطلق منه الشاعر في تعبيره وتصويره، ويعيد تذكيره بذلك حين يسجِّل النتيجة بعد تحليل أثر شعري أو موقف، ويحمل المتلقي على أن يتأمَّل جيِّداً في هَذَا المنهج، الذي اختطَّه أبو مسلم، ويعي من مُثَّة الرسالة التي كان يحملها بشعره، ويدعوه - أي القارئ - كي يعرف ماذا يجب على الأديب المسلم أن يمارسه، أو كيف يمارسه بأدبه، وكيف يتعامل الباحث المسلم مع نصوص من هَذَا

القبيل. فلو قمنا بإحصاء بعض الكلمات والعبارات والأفكار التي وردت في دراسة الدكور، والتي تكشف عن هذا المنهج — وهو مقصود من الدكور — لخرجنا بمجدول يسجل تكرارها عشرات المرات.

هذه لفظة مهمة وتوجيه مقصود لبعث الدراسات الأدبية برؤية إسلامية خالصة.

٤- يريد الباحث أن يقرر حقيقة حتى يستقر في قرارة نفوسنا أن للشاعر رؤية متميزة متفردة.

٥- في نظري، تعدّ هذه الدراسة تحولاً في دراسات الدكور تختلف عن التي كان قديمها عن بعض الشخصيات الأدبية. هذه الدراسة تدرجه ضمن المشتغلين بالأدب الإسلامي. فبعد أن قدم — نظرياً — مجموعة من الآراء في الأدب الإسلامي في مؤلفاته، اتجه إلى الجانب التطبيقي، فعرض نماذج من الآثار الأدبية لمجموعة من الأدباء ممن يتمتعون بالرؤية والموقف الإسلاميين، وقد درس بهذه الطريقة مجموعة من الشعراء العُمانيين بخاصة، منهم أبو مسلم الرواحي.

٦- إنّ هذا النوع من الدراسات تنبّه إلى ضرورة تَوْخُّسِي الموضوعية في الدراسات الأدبية، وإحلال الأديب محلّه اللائق به، بمراعاة ظروفه التي ترعرع فيها، والبيئة التي درج فيها والوسائل التي توفّرت لديه، والثقافة التي تنفّسها، والتي يصدر عنها؛ استجابة وانسجاماً مع المبادئ التي تحكم البيئة والجهة التي ينتمي إليها، والأهداف التي يصبو إلى تحقيقها والرسالة التي تناط بالشعر.

وبذلك نفق أمام الانحرافات الخطيرة التي وقعت وما تزال تقع في الدراسات النقدية التي تجري وراء التقلّيعات المتجلّدة الكثيرة، وتلهث وراء الحداثّة الموغلة في

التطُّرف، وفي مناقشة الآثار الأدبيَّة ومعالجتها ونقلها بطريقة تسيء إليها وتجحفها حقها، وتفرغها من قيمتها مجرد أنَّها لا تتماشى أو لا تستجيب لميول أصحابها الحدائيين، أو إنَّ هَـذِهِ النفوس لا تقوى على مساندة طبيعة هَـذِهِ الآثار وإدراك مضامينها ووعي رسالتها، ومن ثمَّ يكون الجري وراء الحداثة وما بعد الحداثة بسبب ذلك، وبدافع من ذلك، أو لغرض تحقيق أهداف أخرى خاصة، يكون من أكبر العوائق على إيجاد انسجام وتواصل بين حلقات أدب أُمَّة ما، وبخاصة الأُمَّة الإسلاميَّة، فيكون الغلو والتطُّرف في الدراسات الفنيَّة الخالصة والمنهجية المفرطة، وتوظيف البنيويَّة الغالية... من أسباب تجريد الأدب من قيمته ومكانته ورسالته الدينيَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة والنفسية.

وكانني - من خلال هَـذِهِ الدراسة وملاحظات الدكتور - نعيد من جديد عرض قضية اللفظ والمعنى، التي ما تزال تعرض، وإنْ بإشكالٍ مختلفةٍ وبأسماءٍ وعناوين متعدِّدةٍ.

هَـذِهِ الدراسة تنبِّه بطريقة غير مباشرة إلى هَـذَا الانحراف، وتبيِّن الطريق الأسلم، الذي ينبغي سلوكه في الدراسات الأدبيَّة، بخاصة التي لها علاقة بالأُمَّة العربيَّة الإسلاميَّة.

7- أشارت الدراسة - بطريق غير مباشر - إلى إفلاس التيارات المستوردة الهدَّامة والمناهج الحديثة المتطرِّفة في دراسة الأدب الرسالي.

8- في هَـذِهِ الدراسة كشف عن جانب من حياة العُمانيِّين وظروفهم السياسيَّة والاجتماعيَّة...

9- سجَّلت الدراسة تأثر المدرسة الإباضيَّة أو العُمانيَّة بالخط الغزالي في التصوف.

10- في الدراسة عتاب رقيق ولطيف للعمانيين على تقصيرهم في حق أدبهم وأدبائهم.

11- نلاحظ شدة حنين أبي مسلم إلى عُمان، والافتخار به وتاريخه، والاهتمام به ومنه وقضاياه ومعالجته مسأله؛ رغم أنه لم يعيش فيه إلا قليلاً، ما تفسر ذلك ولماذا يكتب عن عُمان وينشغل به ويحاول حلّ مشأله ولا يقيم فيه؟ ما سبب ذلك أو ما تفسر ذلك؟

12- نلاحظ أن ما كتبه عن زنجبار قليل بالقياس إلى ما كتبه عن عُمان، لماذا؟

13- هناك مجال كبير للدراسة الفنية والموضوعية في شعر حسان عُمان، والدراسة اللغوية، والنفسية والاجتماعية. وما يمكن التركيز عليه في الدراسات للمستقبلية: المعجم الشعري عنده، الوطنية في شعره، الغربة والهجرة وأثرهما في نفسه، كيف عبّر عنهما، وما هي دلالاتهما عنده. مفاتيح شخصيته، المقال عنده. وقفة مع قصيدته: «الفتح والرضوان» و«النهرانية»...

14- هذه الدراسة القيمة عرّفت بجانب من جوانب الحياة الأدبية في عُمان، وقتّمت إحدى المحاولات الجادة في نهضة الأدب العربي الحديث. ويسّنت المنهج الذي يجب سلوكه في دراسة الأدب الإسلامي. جزى الله الدكور كلّ خير، ووقفه في أبحاثه ودراساته ومشروعاته. إنّه سميع مجيب.

الملاحق

فرع الحياة المقدسة (1)

الله حيٌّ لا يزال ولم يزل	في ذاته وبذاته ولذاته
لا شيء غير الله حيٌّ كائن	بالذات قام له وجود حياته
وحقائق الأسماء في اسم الحيّ إذ	هو أول الأسماء في مرقاته
رجعت إليه عينُ كُلِّ حقيقة	من بعد جامع اسمه وصفاته
ومن المحال وجود ذات حقيقة	لاسم وغير الحي أصل ثابتة
والحي من تحب الحياة لذاته	للذات ليس لخارج عن ذاته
والحي من ليست حياة عينه	كلا ولا هي بعض غير حياته
الله حيٌّ لا بمعنى زائلٍ	فيه قديم غير نفي مماته
يكفي وجوب حياته للذات عن	فرز الحياة مسبباً لثباته
حيّاً وجوباً لا لموجب عارض	فيكون مفتقراً لمفتقراته
حيّاً وجوباً لا لكون حياته	سبباً أقام له وجود حياته
هَذَا وقوع الشيء علّة ذاته	ومن المحال الشيء علّة ذاته
ليس اعتدالاً في المزاج ولا قوَى	حسن كجنس حياة مبتدعته

1 - ديوان أبي مسلم البهلاني القسم الأول، تحقيق علي النجدي ناصف، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، سنة: 1405هـ/1984م، ص: 270.

الذات كافٍ صحّة استلزامها
 الواجب الحقّ القديم يُجَلُّ عن
 تجب الصفات له وليست غيره
 وتجاذب الأسماء موجوداتها
 للحى هيمنة على الأسماء من
 وعلى كمالات الحياة توقفت
 وظهور كلّ اسم بنور خصّه
 وظهور كلّ اسم بقوة فعله
 برزت ظهورات الصفات وكلها
 دون الوسيطة من قديم صفاته
 إيجاب واسطة خصوصيّاته
 وثبوتها في نفس سلبياته
 لحقيقة اسم الحىّ جمع شتاته
 حيث الظهور ومجد قيوماته
 آثار كلّ اسم بمأثوراته
 فشُعاعه الوقاد من مشكاته^(١)
 للحى سلطان على قوّاته
 مملوءة من ماء عين حياته^(٢)



- 1 - المشكاة: كوة في الحائط غير نافذة يوضع فيها المصباح.
 2 - جمع ظهور على ظهورات غير مقبول. رجاء في هامش الصفحة:
 «هذا غاية ما عثرنا عليه من هذا الفرع، وهو - كما تراه - غير تمام. فنيا للأسف».
 وجاء بعده.

وقال في الذات الإلهية داعياً متوسلاً (1)

إلهي لاسمك الأعلى العلاءُ	له التسبيح منِّي والثناء
أقمت لعزّ وجهك ذلّ نفسي	فأفنّ النفس فيك لك البقاء
إليك يسوقها شوق ملحٌ	وأصوات الصفات لها حُداء
أجشمها العزائم وهي نضو	وتحت عزائم النفس العلاء (2)
أجرّدها من الأمواء حتّى	ياشرها بمنّتك الصفاء
أمزّق باسمك الأعلى صفاتي	وألبس من صفاتك ما أشاء
أبّيتُ سوى جلالك لي جلالاً	وليس كنّور وجهك لي سناء
أنصّ إليك بالإخلاص سيري	تساوى الخوف عندي والرجاء (3)
أمني النفس من لقياك خيراً	فهل لسعادتي ذاك اللقاء
إلهي بُلّغتني ليست بزداد	وفيك لكلّ ذي أمل كفاء (4)
أقوم بما أقوم به ولكن	حقيقة ما أقوم به خلاء
أما وجلال وجهك ليس إلّا	بمجرد فضلك العمل الوفاء
أمنت بنور وجهك في طريقي	والأ فالضلالة والشقاء

1 - التزم في هاتين القصيدتين المعزة والباء، صدر كلّ بيت وعجزه منهما، ويشعر بقصده.

هذا نظم حروف الهجاء على هذا الوضع، فحيل بينه وبين قصده، ويقصد بالقصيدتين

هذا القصيدة والتي تليها.

2 - النضر: المهزول المجهد.

3 - نص السر: بلغ به الغاية من الإسراع.

4 - البلغة: ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل منها.

أسأت صناعتني والسوء طبعي
أسيرٌ تحت بَابِك بالخطايا
أشدُّ مصائبِي ذنبي ولكن
أقبل عثرتي واغفر ذنوبي
أطردني وقد حققت توبي
إذا أخلصتُ إيماني وتوبتي
أقمت لي الدليل عليك حتَّى
إلهي كنت كنزاً في خفاء.
أحق الاعتراف بأنَّ عبداً
أعرفانٌ ومعصيةً وجهلٌ
أقم لي عصمة واحفظ سلوكي
أما وجلال وجهك لن تراني
أأشقى سيدي والذكرُ كسبي
أجزني نظرة في الحال والطفُ
أجب بمحمدٍ كلمات ذكرِي

وأنت من الأساة لي براء
وعذلك في الحقيقة لي جزاء
برحمتك التأسّي والعزاء
فإنَّ الله يغفر ما يشاء
وأنت البرُّ عادتكَ الوفاء
إليك فما بقي إلا الرضاء^١
تجلّى الأمر وتكشف لغطاء
فحين فطرتنا برح الخفاء
إذا عرَفَ استقام له الولاء
معاذ الله ذاك هو البلاء
فإنَّ الحقَّ عصمته وقاء
سليماً حين يسلمني القضاء
وأنفاسي التبتُّل والدعاء
به أنت اللطيف بما تشاء
وصلُّ عليه ما نشر الشناء

١ - بقي: سكن باء «بقي» ليستقيم الوزن.

كتاب ورد من زنجبار
من أبي مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي
إلى إمام المسلمين بعُمان
سالم بن راشد بن سالم الخروصي أعزّه الله⁽¹⁾

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ وسلم وبارك على رسولك سيّدنا محمد أنفع عبادك لعبادك، من
كاتبه العبد المذنب المفتقر إلى رحمة ربه وعونه أبي مسلم ناصر بن سالم بن عديم
الرواحي، إلى جناب إمام المسلمين وأمير المؤمنين وعصمة المهتدين وخليفة ربّ
العالمين، العبد الصالح القائم بأمر الله سالم بن راشد بن سليمان الخروصي⁽²⁾ المعتصم
بربه، المتوكل عليه، الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر، الناهض النهضة الصادقة في
دعوة أهل الاستقامة، الداعي إلى الله ورسوله، المجاهد لأعداء الله، أيّدك الله
ونصرك، وسدّدك وثبت فيه قدمك، وأعلى حجّتك، وأنفذ أمرك، وقوّى

1 - كتاب: أبو مسلم الرواحي حسان عمان، ص 198.

2 - من أشهر أئمّة الهدى والعمل الصالح بعُمان، كانت إمامته ما بين عامي (1232-1238هـ).

شوكتك^(١)، وعظم سطوتك، وقسم ظهور أعداء الله ببولتك، وقطع دابر الظالمين بقهرك، سلام عليك ورحمة الله وبركاته، وَعَلَى من قبلك من إخواننا السادة المسلمين، وَعَلَى أعوانك وأنصارك والقائمين بأمر الله معك، والذابين عن حرمان الله تحت إمامتك، والمجاهدين المجاهدين في حق الله حق جهاده بأنفسهم وأموالهم.

أيُّهَا العبد الصالح، إِنَّ الله نظر نظرة في عبادته، فرآك للوقت أصلبهم عوداً، وأتقاهم قلباً، وأنفذهم بصيرة^(٢)، وأزكاهم نفساً، وأوفاهم ميزاناً وأعظمهم صبراً، وأشدَّهم شكيمة، وأنفذهم عزيمة، وأزهدهم في الدنيا، وأرغبهم في العقبى^(٣)، ولا يصلح للخلافة الكبرى إِلَّا من كانت هذه الصفات صفاته، والله السياسة الكاملة، والخيرة التامة، والتربية الزاكية، يختار لعباده ما فيه الخير لهم، وإذا اختار لك الحمل هذِهِ الأمانة العظيمة فولَّك قسمًا من بلاده، وحكَّمك عَلَى طائفة من عبادته، فقِفْ لله حيث أنت، يكن لك في عونهِ وتسديده وتوفيقهِ حيث هو، إِنَّ الله لم يورثك سلطاناً وملكاً دنيوياً، ولكن قلَّدك سلطاناً نزل به جبرائيل عليه السلام من فوق سبع سموات، أنت مسؤول عنه يوم الفزع الأكبر، عن منقال ذرة وأقلِّ منه، فقدَّم للسؤال جواباً في الحركات والسكنات.....^(٤)

..... عَمَّا يوجبه العدل ولا يتسلَّط الإنصاف عَلَى الطالح بأكثر ممَّا قدره

1 - شوكتك: الشوكة: السلاح.

2 - يقال: فلان نافذ البصيرة: أي صائب الرأي.

3 - العقبى: الدار الآخرة.

4 - هنا خرم في الأصل بقدر ستة أسطر، وقد بمنَّ الله علينا بالعثور عَلَى نسخة أخرى للمقابلة والاستدراك.

القسط، إِنَّكَ أصبحت أمين الله عَلَى ميزان الحنيفَّة الطاهرة، ليس لك من الأمر فوق ما يوازن معيار هَذَا الميزان ولا دونه، فاجعل مركز قدميك عَلَى مركز قدم نبيك ﷺ، وأقدام الخلفاء الراشدين من يَمَنَّتْكَ في الدين، فَإِنَّ الحجَّة^(١) واضحة المعالم، قائمة، والسنة نيرة، وسير أهل الاستقامة في الأنفس والأموال وجهاد البغاة والمشركين غير طامسة الصوى^(٢)، ولا هي مؤسسة عَلَى الهوى، إِنَّ الله قد أوجب عَلَى المكلفين من أهل مصرك^(٣) طاعتك، والانقياد لأمرك ونهيك، فأوجب عليهم حقاً ظاهره لك وباطنه لله، وليس لك من الأمر شيء، إِنَّمَا أَنْتَ [حافظ] الحُجَّةَ وسيف الحدِّ، تأمر بما أمر به، وتنهى عما نهى، فأوجب عَلَى نفسك شرطة الله

..... والشقاق وغلب عَلَى أغلبها الجهل والنفاق، قصرت أنظار أكثرهم عن الخطر الداهم من العدو المحيط بهم، فضلاً عن واجب الله عليهم في القيام بالقسط، وإنفاذ الحقوق وإقامة الحدود واستئثار العدل وسلوك السنة، فتهاوشوا^(٤) في الظلم، وتحالفوا في الجور، وتهافتوا في الفتنة، واتفقوا عَلَى أن [لا]^(٥) يتفقوا، وَإِنَّا لله وَإِنَّا إليه راجعون.

أَيُّهَا العبد الصالح، إِنِّي لا أسلِّدك عن عوج، ولا أقوِّمك عن زيغ، ولا

-
- 1 - الحجَّة: الطريق.
 - 2 - الصوى: علامات الطريق، أي غير خافية المعالم.
 - 3 - مصرك: بلدك.
 - 4 - خرم في الأصل بقدر سبعة أسطر.
 - 5 - تهاوشوا: تنازعوا، وتشاحروا.
 - 6 - هكذا في الأصل وقد سقط حرف «لا» وهو سهو واضح.

أنبّهك عن غفلة، ولكنها نصيحة مسلم على أخيه مفترض أداؤها، متعيّن إخلاصها، اعط السياسة حقها الديني في تربية هَذِهِ الأُمّة، بأنّ تتجاوز عن مسيئهم إلّا في حقّ حتّى يؤدّي، ولا في حدّ حتّى يقام، فاحتمل الكريهة حيث يكون الاحتمال مرضاة الله، وارحم الضعيف كما ترحم نفسك، ولا تؤخر حدّاً عن وقته، ولا حقّاً عن أجله، وكن على القوي حتّى تأخذ الحقّ منه، ومع الضعيف حتّى تأخذ الحقّ له، إنّ صلاح الملكة في الرفق بالرعيّة وأخذ الحقّ منها بغير عنف، والتودّد إليها بالعدل، وأمن السبل، وإنصاف المظلوم، وصلاح الملك بوزراء الحاكم إذا صلحوا صلح، ولا يثير الفتنة إلّا ضعائناً تظهرها جراءة عامّة واستخفاف خاصّة، وانبساط الألسن بضغائن القلوب، واشفاق مؤسر وأمن معسر، وغفلة مرزوق، وبقظة محروم، ولا يسكن الفتنة إلّا أخذ العدّة إلا للمخوف، وإيثار الحد حين يلتذّ الهزل، والعمل بالحزم وإدراغ الصبر والرضا بالقضاء، إنّك لن تنال من هَذِهِ الأُمّة خير العامّة وصرفهم عمّاً أشربت به قلوبهم من الآفات النفسانيّة والقاذورات الشيطانيّة حتّى تشربهم محبتك، وتشعرهم هيتك، ولا سبيل لك إلى ذلك إلّا بمخمس وسائل: إكرام شريفها، ورحمة ضعيفها، وإغاثة لهيفها، وكفّ علوان علوها، وتأمين سبيل رواحها وغلوها، واعلم أنّك تحقلها بقلر ما تفقلها من هَذِهِ الخصال^(١).

أيّها العبد الصالح، العدل العدل! قال ﷺ: «زَيْنَ الله السماء بثلاثة: الشمس والقمر والكواكب، وزَيْنَ الأرض بثلاثة: العلماء والمطر والسلطان العادل»، وما لم يُعَلِّ السلطان ملكه بإنصاف الرعيّة حرّب ملكه بعضيان الرعيّة؛

١ - في هَذِهِ الفقرة يتبيّن بجلاء عمق فكر أبي مسلم وتُعد نظره السياسي والاجتماعي.

وأوفى الخير الدين، وأقوى العدد العدل، لا عليك من فساد النيات وخبث الضمائر، إذا حكمت بالعدل لا بالهوى، وفصحى عن الأعمال لا عن السرائر، ولا يكون العمران إلا حيث يعدل السلطان، والعدل حصن وثيق في رأس منيف لا يحطمه سيل، ولا يهدمه منجنيق، والعدل ميزان الله والجور مكيال الشيطان.

رحم الله أمير المؤمنين عمر، كان يعدل في رعيته ويجور في نفسه، ويطعمهم الطيب ويأكل الغليظ، ويكسوهم اللين ويلبس الخشن، ويعطيهم الحقّ ويزيدهم ويمنع ولده وأهله، أعطى رجلاً عطاءه أربعة آلاف درهم ثمّ زاده ألفاً فقبل له: «ألا تريد ابنك عبد الله كما تريد هذا؟» فقال: «إن هذا ثبت أبوه يوم أحد، وإن عبد الله فرّ أبوه ولم يثبت».

أوفد سعد بن أبي وقاص جريرو بن عبد الله البجلي إلى عمر بالمدينة فقال له عمر: كيف تركت الناس؟ قال: تركتهم كقداح الجعبة منها الأعصل الطائش^(١)، ومنها القائم الرائش. قال: «فكيف سعد لهم؟ قال هو ثقافها الذي يقيم أودها^(٢) ويعمر أصلها، قال: فكيف طاعتهم؟ قال: يصلّون الصلاة لأوقاتها، ويؤدّون الطاعة إلى ولاتها، قال: الله أكبر، إذا أقيمت الصلاة أدّيت الزكاة، وإذا كانت الطاعة كانت الجماعة».

أيّها العبد الصالح، إنّ قلوب رعيّتك هي خزائنك، فما أودعته فيها وجدته، وإنك ورعيّتك متلازمان إن صلّح أحدكما صلّح الآخر، وظلم الرعيّة استجلاب للبلية، وإنك لا تزال أحقادها إذا اشتمازت بمثل الرفق، ولا تكشف لك

1 - الأعصل الطائش: الأعصل هو السهم الشديد.

2 - أي: هو الذي يقيم إعر حاجها.

عن سوء غيْبَتِهِ ضماثرها. يمثل الخرق في السياسة، وهب أنَّها ثماراً مجتناة وذخائر
مفتاة وسيوفاً منتضاة وأحراساً مرتضاة، فإنَّ لها نفاراً كنفار الوحوش، وطغياناً
كطغيان السيول، ومتى قدرت على أن تقول قدرت على أن تصول، وإنَّما أيديها
نعب لألستها، فلن تملك ألستها حتَّى تملك جسومها، ولن تملك جسومها حتَّى
تلك قلوبها، ولا واسطة للاستيلاء على القلوب إلا المساواة بالعدل على الخاص
والعام، وتخفيف المؤن والكُلف والإعفاء من رفع الأوضاع والأراذل، على
أعناق الأشراف والأمثال، وهذه الثلاثة تحقد عليك علىة الرعيَّة وتطمع
الأرباش في الرتب السنيَّة.

أيُّها العبد الصالح، إنَّ رعيَّتكَ ثلاثة أصناف، صنف فضلاء مرتاضون بحكم
الرياسة والسياسة، يعلمون فضل فضيلتك وعظيم عنانك، ويرثون لك من ثقل
أعبائك فهو لاء نصَحُكَ فاستبق مودَّتَهُم يبشر اللقاء، واستجلب نصائحهم بحسن
الإصغاء، وصنف فيه خير وشر ظاهران فاستصلحهم بالترغيب والترهيب، وصنف
سفلة رعا ع تابع لِكُلِّ داع لا يمتحنون في أقوالهم وأعمالهم بنقد ولا يرجعون في
الموالة إلى عقد، فترك معاقبتهم على صغار الجرائم مدعاة لهم إلى ارتكاب العظائم،
فإنَّ أوَّل كلمة المرء كلمة سوء سوحت بها، وأوَّل حوان^(١) حيلة سوعدت عليها،
وإنَّ مثار الفتنة أثرة تضغن الخاصَّة، وإفراط حلم يجرى العامة، والمحمد لها عمل
بسيط وهُوَ استقالة العثرة في أولها، وعمل عظيم من فحول الأعمال في آخرها،
وهو الصبر.

أيُّها العبد الصالح، إنَّكَ في سلطانك الديني بين بحرين عظيمين مخطرین

١ - هكذا وردت في الأصل، ولعلَّها حران الدابة.

أحدهما: وَهُوَ أَعْظَمُهَا وَهُوَ بَحْرُ الشَّرِيعَةِ، فَلَسْتُ وَاللَّهِ نَاجِيًا فِي غَمَرَاتِ هَذَا الْبَحْرِ حَتَّى تَكُونَ سَفِينَتُكَ فِيهِ السَّيْرَةَ الْمَحْمَدِيَّةَ فَنَبْصُرَ فِي هَذَا الْبَحْرِ الْعَمِيقِ تَبْصُرَ يَقْظَ حِزْرٍ، وَلِيَكُنْ سَيْرُكَ فِيهِ مَهْتَدِيًا السَّنَةَ السَّنِيَّةَ، وَتَوَخَّ الطَّرِيقَ الَّتِي سَلَكَهَا ﷺ وَسَلَكَهَا خُلَفَاؤُهُ عَلَى أَمَّتِهِ وَأَمَنَّاؤُهُ عَلَى مِلَّتِهِ فَاسْلُكْهَا، وَمَوَاقِعَ أَقْدَامِهِ ﷺ وَأَقْدَامَ الْخُلَفَاءِ الْمَهْتَدِينَ مِنْ بَعْدِهِ لَمْ تَعْفِهَا السَّنُونَ، وَإِنْ هَبَّتْ عَلَيْهَا رِيحُ الْبِدْعِ وَحَرَّفَتْهَا سَيُولُ الْفِتَنِ، وَلَوْ عَلَى أَحْكَامٍ مِنْ تَوَلَّى نَفْسَهُ، وَلِلْوَلَايَةِ نَصْحَاءٌ فِي الدِّينِ تَحْرِيبًا لِلْعَدْلِ وَوُقُوفًا عَلَى حَذِّ الْقَسْطِ وَثَبَاتًا عَلَى مَخَالِفَةِ الْهَوَى، وَرَدًّا أَحْكَامَ حُكَّامِكَ إِلَى مَنْ هُوَ أَرْفَعُ دَرَجَةً مِنْهُمْ فِي الْعِلْمِ وَأَقْوَى مِمَّا رَسَدَ لِلْأَحْكَامِ وَالْأَنْفَذَ بِصِيرَةٍ فِي الْمَشَاكِلِ، وَإِذَا رَجَعَ الْأَمْرُ إِلَيْكَ فِي قَضِيَّةٍ فَشَاوِرْ فِيهِ عُلَمَاءَ وَفُقَهَاءَ الْمَنْهَبِ، وَنَاهِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ نَبِيَّهَ ﷺ بِمَشَاوَرَةِ أَصْحَابِهِ وَهُوَ الْمُصْطَفَى الْمُعْصُومُ، وَالْمَخْتَارُ الْمَوْفَّقُ، وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ، وَكُتَابَةُ الْقُرْآنِ فِيهِ عِلْمٌ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، فَأَمْرُهُ بِمَشَاوَرَةِ ذَوِي الْبَصَائِرِ مِنَ الصَّحَابَةِ لَيْسَ لَخُمُودِ بَصِيرَتِهِ ﷺ وَلَا مِنْ مَرِّهِ^(١) دَرَايَتُهُ وَلَا لِرُكَّةِ رَأْيِهِ، وَلَكِنْ عِلْمُ اللَّهِ أَنَّ كُلَّ صَدْرٍ فِيهِ رَأْيٌ، وَرَبَّمَا وَقَعَ لَغَيْرِهِ ﷺ مِنْ صَوَابِ الرَّأْيِ مُوَهِّبَةً مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَا لَمْ يَتَّفَقْ لِبَشَرِيَّتِهِ ﷺ، وَحَسْبُكَ بِقَضِيَّةٍ أَسَارَى بَدْرٍ وَمَا وَهَبَ اللَّهُ لَغَيْرِهِ مِنْ وَقُوعِ الْبَصِيرَةِ عَلَى رَأْيٍ يَطَابِقُ الْحَادِثَةَ لَا يَنْقُصُ مِنْ مَقْدَارِ مَقَامِهِ، وَلِمَقَامِهِ ﷺ الدَّرَجَةُ الْعَلِيَا، وَلَهُ الْفَضْلُ عَلَى كُلِّ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ، فَإِنْ قَلَّرَ اللَّهُ انْتِفَاعًا مِنْ رَأْيٍ غَيْرِهِ فَلَا يَعْتَبَرُ ذَلِكَ الْغَيْرُ لَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ ﷺ:

١ - مَرُّهُ: مِنْ بَابِ فَرَحٍ، مَعْنَاهُ: نَسُدُّ، وَيُقَالُ: رَجُلٌ مَرَّهُ لِفُؤَادٍ: سَقِيمُ الرَّأْيِ (الْقَامُوسُ) مَادَّةُ: مَرَّةٌ.

كالبحر يَمْطُرُهُ السحاب وماله مَنْ عَلَيْهِ لَأَنَّهُ مِنْ مائه

وقد شَبِعْنَا الكلامَ عَلَى هذا المقام في كتابنا السياسة بالإيمان^(١)، فارجع إليه وها هو موجّه إليك كُنَّا أَتَفْنَا الكتابَ عَلَى هَذِهِ الوتيرة كما تراه قبل أن يَمُنَّ اللهُ علينا بظهور دولتك المؤيَّدة بمشورة وطلب من أعزّ الأصحاب وأحبّ الأحباب الشيخ: سليمان بن سيف اليعربي، فمن الله تمامه، وعلى أثر إتمامه بأيّام جاعتنا البشائر بيزوغ شمس الحقّ، فكان الواقع هو عين موضوع الكتاب، ولم يتيسَّر لنا إرساله قبل الأوان الحاضر، وما ذلك إِلَّا لَأَنَّ بعض الأصحاب مِمَّنْ نثق به وعدنا بطبعه عَلَى نفقته ولرغبتنا الأكيدة في نشره بأقطارنا العُمانية، وثقتنا بالوعد الذي أصبح سراً بقيعة، وهكذا تذهب أموال منهبنا في غير طائل، وأصعب الأشياء عليهم إنفاقها فيما تعود مصلحته عَلَى أهل الدعوة، لا جرم الكتاب أرسلناه إليك وَهُوَ عَيْنُ المُسَوَّدَةِ التي هي بخطّ يدي، وعسى الله يَمُنَّ علينا بتوسيع الدولة وقرار الأمور عَلَى قواعدها فتتمكَّنوا إن شاء الله من اتِّخَاذ مطبعة لبيت مال المسلمين تنشر فيه كتب المذهب والنشرات العربيَّة الدينيَّة، وذلك يسهِّل عليكم إن شاء الله بمخاطبة الشيخ الشماخي^(٢)، أيَّده الله في مصر، وأحثَّكَ سيِّدي عَلَى فتح المدارس العلميَّة في بلادك وحثّ أهل الخير عَلَى التبرعات في سبيل هَذَا المشروع العظيم،

1 - يشير إلى كتاب له تحت عنوان: (السياسة بالإيمان) ولم نره مطبوعاً، ولم نسمع عنه مخطوطاً، وَلَقَدْ الأيَّام متكشف عن هَذَا الكنز الثمين، إِلَّا إن كان القصد هنا الكتاب (الرسالة أو الجواب).

2 - لَقَدْهُ قاسم بن سعيد الشَّماخي، مؤلّف كتاب: (القول المتين في الردّ عَلَى المخالفين)، وكان يعيش في تلك الفترة بـ: (القاهرة) وَهُوَ معدود من رجال الفكر الإباضي معروف بنشاطه، وله مؤلفات.

فإنَّ مصرك عُمان لم يسقط هَـذِهِ السَّقْطَةُ العَظِيمَةُ إِلَّا مِنْ جَـهَةِ الجَـهْلِ، والجَـهْلِ أُمٌّ للمصائب في الدين والدنيا، وبوَدَي لو ساعدني العلماء هناك عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي أَرَاهُ، وَهُوَ جَوَاز جِرِ الأَرْوَادِ عَلَى التَّعْلُمِ، وهي لعمري مصلحة عظيمة في الأُمَّة، ثُمَّ تجعل نفقة الفقراء منهم عَلَى بيت المال، ونفقة أبناء الأغنياء عَلَى آبائهم، وهي طريقة سياسية دينية تدلُّها أصول من الكتاب والسنة، وبقاؤكم عَلَى تعليم الجهلة عَلَى اختيار الآباء لأبنائهم مضرٌّ جدًّا بالأُمَّة لا يتقدَّم بها شبرًا عن مركزها في الجمود، ولو تركت الأمم الراقية عَلَى جمودها في الظلمة والجهل ولم يزعها وزع قسري من جهة الحكومات لما بلغت مبلغها من التقدُّم في العصرية، وأحقَّ ما يكون بالإيزاغ والقسر هي العلوم الإسلامية التي تخرج بها الأُمَّة من الظلمة إِلَى النور ومن الرذالة والنقص إِلَى الفضيلة والكمال.

فاجهد جهدك مولاي في هَـذِهِ الخِطَّة، واجمع خيار المسلمين وعلماءهم وزعماء القرى والبلاد والأزهم بالنهضة العلمية، وأقم لهم الخطباء في الجمع والمحافل والمجتمعات يحثوهم عَلَى هَـذِهِ النهضة^(١) ويصروهم بسوء المغبة في البقاء عَلَى هَـذِهِ الحالة الراهنة، وبحسن العاقبة والتقدُّم إذا تَوَرَّت هَـذِهِ الأُمَّة بالمعارف الدينية والعلوم الإسلامية ويكشفوا عن وجه رداءة الجهل، وَأَنَّهُ هو الداء الوحيد والسبب الأصيل للتوحش وشرارة التقاطع والعداوات والضعفان إِلَى غير ذلك مِمَّا تقع فيه الأمم الجاهلية من الشرور والسقوط وموت الأمم موتًا أدبيًّا ودينيًّا، وذلك ما لا يختلف

١ - المطبعة، التعليم المنظور، اعتمادًا عَلَى تِـرْعَاتِ المحسنين، وإجبارية التعليم، آراء نيرة سبق بها الشيخ: ناصر بن سالم زمنه. وهذه عِيْنَةٌ بسيطة عن قدراته العقلية والفكرية في مجالي الإصلاح والسياسة.

فيه اثنان ومشاهد بالعيان.

ولتعلم سيّدنا أنّ هَذِهِ النهضة لا تَمُكِن من الشكّل شكلاً حَسِياً إِلَّا بالصِرامة الثَّامَّة منك، إذ مرجع الأمر إليك.

أمّا البحر الثاني فهو بحر السياسة، أنت تعلم أنّ من لا يسوس الملك يتزعّم^(١) ودونك من السياسة النبويّة المحمديّة بحر لا ينزف وكنز لا ينفى فأنفق منه في تدبير دينك وديناك وأمر سلطانك تجد الكفاية وفوق الكفاية، ولقد سئل أمير المؤمنين عمر من أين تعلّمت السياسة فأجاب سائله: «من جمال الخطّاب التي كنت أُرعاها في شعاب مكة، والله أعلم حيث يجعل رسالته وحيث يجعل سياسة عباده؟» لقد سلس عمر هَذِهِ الأُمّة سياسة أتعب فيها مَنْ بعده من ساسة الأُمّة، وتاريخ سيرته كافل طافح بذلك، ومع هَذَا فما أحوجك أن ترمي كُلّ حادثة بمجرها، وتداوي كُلّ جرح بمزهره، ومعك بحمد الله من رجال الحنكة والتجارب والسياسة وذوي الأصالة في الرأي من لا يؤلّوك جهداً في المناصحة ومن لا تقصر به البصيرة دون إدراك الحقيقة، والحقائق لا تفوت البصائر مع إمعان النظر واستبانت الأمور ومحض الرأي.

ومن كلام سيّدنا عبد الله بن وهب الراسبي ذي الثفتات - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : «حمير الرأي خير من فطيره»، ثُمَّ إِنَّ الحقائق التي يشتغل الفكر فيها إلى حدّ إصابة الرأي فيها قسمان: قسم مخنور، وقسم مطلوب، فاستعن بالمخنور وبالاحتياط والتحفظ والحزم والتيقّظ وكنمان السرّ إِلَّا عن خاصّة أمرك ووزراء تدبير

١ - ترع: مَنَعَ وَثَنَى، يقال: تَرَعه عن وجهه: مَنَعَه. ولعله يقصد من لا يحسن سياسة الملك بمنعه

سلطانك، واستعن على القسم المطلوب بالصبر والثبات والعزيمة والتبني وعدم التسرع فيما يفتقر إلى الأناة والنودة وعدم التكاسل والتشاغل والتبسط فيما تعوزه المبادرة والعجل.

هذه فذلكه أهديها لك تذكرة، والذكرى تنفع المؤمنين، أكتبها وأنا أعلم أنك فوق ما أدعوك إليه، وأذكرك بها دراية ورواية وسياسة وإيماناً ورجباً فيما عند الله ورهباً من عقابه وفراراً مما يلهيك عنه، فبنتك الله على ما أنت عليه، وزادك سلطاناً في الذب عن حرمانه والجهاد في سبيله، وقطع دابر أعدائه، وجزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، أنت ومن ناصرك، ووازرك وقام بأمر الله معك، ويا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً، ولكن الله في خلقه شئون^(١) - ولولا ما قضاه الله عليّ من وقوعي في حبائل الديون التي لا مخرج لي منها إلا بعون الله ونعمته، وعلى كل حال فأسألك الدعاء الصالح بتعجيل الفرج، وأنا أعلم أنك من الله بمكان - لكتبت بمشيئة الله معك في المكره والمنشط حتى يقضي الله بإحدى الحسنين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سيدي، هذه قصيدة^(٢) موجهة إليك وضعتها وقصدت بها الدعوة إلى الله وكان القصد طبعها لتشر في الأقطار العُمانية بكثرة، إلا أن المقادير حالت بيننا وبين طبعها لأن محسوبيكم العبد العاجز أصبح بين ماضي الأسد ممقوتاً مع السبب ولائي لكم وميلي إليكم وتعلقني بأسبابكم، وزاد في الحلقة لياً ما كتبناه في

١ - كذا في الأصل، والصواب: «شؤون».

٢ - الإشارة هنا إلى قصيدته المشهورة (الفتح والرضوان) المعروفة بالتونية. وهي دعوة حارة للعُمانيين لمواصلة الإمام سالم بن راشد.

جريدة الأهرام إحدى المصرية^(١) بواسطة الشيخ الشماخي من نشر دعوة للمسلمين لما قامت دولتكم المؤيدة فكان ذلك داعياً إلى امتناعنا عن بيت الحكومة وقطع جميع الأسباب التي يترتب عليها الضرورات الحيوية وبحمد الله اعترفنا بأنها نعمة من الله أنعم بها علينا، وما عند الله خير وأبقى وبقية ما معنا خزنه من لسان خادمكم فيروز سريح السيد فيصل بن حمود، ومصية سيدنا الشيخ السالمي فصمت الظهور^(٢) وأسالت المهج من الآماق، فلنا ولكم في حسن العزاء، وفي الله من كل فائت خلف، والله يعوضك ويعوض المسلمين إن شاء الله من يقوم بأمر للمسلمين معك، ورضي الله عنه لقد أحى السنة وأمات البدعة وقوم الأود^(٣) ونشر العلم والعدل، فرحمة الله عليه، وقد بلغنا أن المسلمين اختاروا لك بعده الشيخين: ماجد بن خميس العبري ومحمد بن عبد الله الخليلي، ولعمري إنهما كفاية وكفاة، والله المستول أن يعينكم وينصركم ويؤيدكم ويقوي أمركم ويكسبر أعداءكم وينشر العدل والإحسان والإنصاف بهمتكم.

ولتد يا إمام المسلمين خادماً للحق موافقاً له، واصلاً إليه، عاملاً به، والمدد والنصر والتمهير والفتح، وحسم صائلة الأعداء حليفكم إن شاء الله، وأرجو أن تشرفوني بالمكاتبة فإنني في هذا القطر داعيك وخادم أمرك ومؤيد حجتك، أرجو الفوز في العقبي في طاعتك وولايتك حتى يمن الله علي بالفرج فأتصل بمخمتك لوجه^(٤) لا لأجل الزلفى والتكسب، والله قادر على ذلك، وأسألك الدعاء لي في

١ - كذا في الأصل، ولعله «إحدى الجرائد المصرية....».

٢ - الإشارة هنا واضحة إلى موت الإمام: نور الدين السالمي، سنة: ١٣٣٣هـ.

٣ - الأعوجاج.

٤ - هكذا في الأصل، ولعل الصواب: «لوجه الله».

أعقاب صلواتك، كما أَنَّنِي أدعو لك مبتهلاً إِلَى الله فِي إعلاء كلمتك وإقامتها وإدامة نصرك وتوفيقك وتسديك فِي الأقوال والأعمال والأنفال وسائر الأحوال.

ثُمَّ إِنَّنِي أَشِير عَلَيْكَ بِمَصَادَقَةِ أَمِير نجد وأمراء الساحل عَلَى الخليج الفارسي، ولابدَّ من إرسال وفد لتوثيق عُرَى الألفة والصداقة بينك وبينهم، ففي ذلك من حسن السياسة خير المغبّة ما لَا يَخْفَى عَلَيْكَ^(١)، وتخيّر الوفد الذي ترسله أَن يكون من علماء المسلمين نفرين أو أكثر، ومن العقلاء الساسة ذوي البصائر والفطنة مِمَّنْ ترضيك بصيرته ويؤدّي عنك فوق ما فِي نفسك وكتاب شريف مكّة وإمام صنعاء^(٢) وسلطان الحج^(٣)، وَأَتَّخِذْ مَعَ كُلِّ أَمِير من أمراء جزيرة العرب يداً وسياسة وإن استطعت أَن لَا تدع جزيرة العرب إِلَّا كتلة واحدة يؤدّي لك الصداق فافعل ولابدَّ لكم من مكتبة الشيخ سليمان بن عبد الله الباروني^(٤) فقد صار بعد حرب طرابلس الغرب وزيراً فِي مجلس الأعيان فِي اسطنبول ومجلس الأعيان مجلس أبناء ملوك الأتراك، وفِي مكتبة هَذَا الرجل والتعرّف إِلَيْهِ وَإِلَى الدولة العثمانية بواسطته سياسة معتبرة النفع عظيمة الفائدة، أمّا صداقتكم مع أَمِير نجد^(٥) فأقلُّ فوائدها فسح

١ - سياسة حسن الجوار المشهود بها لعُثمان دوماً.

٢ - يقصد بهم عَلَى التوالي: الشريف حسين، والإمام يحيى الملقب بالمتوكل.

٣ - هكذا وردت والخطأ من الناسخ، والصواب: «سلطان الحج»، وهي مدينة فِي جنوب اليمن وكانت تحت سلطة العبادلة اليمينيّين قبل أَن تضمَّ إِلَى عدن.

٤ - سليمان الباروني باشا (ت١٩٤٩م) مجاهد لبني عظيم، وكتاب إسلامي قدير، أَدَّى للدولة العثمانية خدمات جليلة، وقد نفاه الاستعمار الأوروبي (إيطاليا، إنجلترا، فرنسا)، وحُرِّمَ عَلَيْهِ دخول البلاد العربية التي كانت تحت سيطرته.

٥ - أَمِير نجد هو: عبد العزيز بن عبد الرحمن، مؤسس المملكة العربية السعودية.

الطريق لوصول السلاح والآلات النارية إلى مملكك العُمانية، هذا رأي توجّه إلى وأراه ضروريّاً لكم لازماً لسياستكم، وقصركم النظر على إقامة الشعائر الدينية في مملككم فقط دون طول النظر في سياسة الدين والإكثار من الصديق أمر يحتاج إلى النظر، ثم إن في الهند جمعيات دينية إسلامية سياستها حيطة الإسلام، فإن رأيتم أن تعقلوا معها حبلاً فاكبوا كتاباً ونحن نتكفل بإرساله إليهم، وقد وصلتنا عنهم إعلانات ونشرات وجّهنا إليكم منها نسخة، وهذا إن لم ينفع لم يضر، فأقل ما فيه إشاعة دعوة المسلمين في الممالك الإسلامية^(١)، والإظهار مع أعدائنا الكفرة أن أهل الإسلام قد ارتبط بعضهم ببعض وجمعتهم الجامعة الإسلامية بعواطف الإيحاء الإيماني الملي، وإظهار دعوة المسلمين إلى جميع الأمم الإسلامية^(٢)، يكشف لساير الأنحاء الإسلامية ما أنتم عليه من حسن المقصد ومراعاة إقامة الشعائر الدينية وإحياء السنّة وإماتة البدعة وأنكم لم تنهضوا للملك والسلطان، وإنّما نهضتم غيرة لله بانتهاك حرّماته وتعطيل حلّوده ووقوفكم حجرة في بلعوم القوم الكافرين^(٣)، وإنّما نهضتكم ليست كما يشيعه عنكم أعداؤكم وأولياؤكم في الجرائد وغيرها، وبودّي لو صنّف أحد العلماء عنكم منشوراً في صورة رسالة تهدى إلى جميع المسلمين في جميع الممالك تكشف عن عقيدتكم وسيرتكم وموضوع نهضتكم،

-
- ١ - وهذا الموقف وغيره يمّا سبق يوضح تفتح الشيخ ناصر بن سالم الرواحي على العالم الإسلامي، ووعيه بواقعه في تلك الظروف العصبية.
 - ٢ - هذا الموقف وما سبقه من المواقف، يوضح بجلاء فكر الشيخ ناصر الإسلامي ووعيه السياسي واطلاعه الدقيق على مجريات العالم من حوله.
 - ٣ - هذا الرأي يلخص الفكرة التي كان هذا المصلح العظيم يكرّس لها شعره ونثره، وأعماله.

وما مقصدكم وما هو عين سياستكم، ثم ترسلونها إلينا لنطبعها في زنجبار ونفرضها في الأقاليم أو ترسلونها إلى الشيخ الشماخي يطبعها في مصر أو إلى الشيخ الباروني بواسطة الشيخ الشماخي.

وبالجملة هذه سياسة أشير بها عليكم ونظركم أعلى وأنتم وأكمل، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وعلى كافة من قبلك من إخواننا المسلمين. ويسلم عليك من لدينا الشيخ المخلص سليمان بن حميد بن عبد الله الحارثي وشبله الكريم عبد الله بن سليمان، والمخلصون لكم يسلمون عليكم ويدعون لكم بالنصر والأيد، وقد أجرى الله على لسان عبده العاجز الضعيف مرثيتين لسيدنا الشيخ رحمه الله وهما تحت الطبع وبعد تمام طبعها سنوجه إليكم بعض النسخ - إن شاء الله - وهذه القصيدة الثنوية⁽¹⁾ أرجو منك تأمر بالإكثار من نسخها وإشهارها مع شيوخ القبائل، عساها أن تحرك من عواطفهم وتهز من أريجيتهم، ولهذه الغاية وضعناها على هذه الوثيرة سياسة مناً للدين وتحريكاً لعواطف المسلمين⁽²⁾.

قد تم الكتاب الوارد، ولقد جرى الله منشئه وكتبه عن الإسلام خيراً يوم 13 ربيع الثاني عام 1333 هجرية⁽³⁾، وتحرير الكتاب يوم 14 ربيع الثاني من صاحبه من زنجبار في العام المذكور.

تم بقلم الحقير سالم بن خلفان بن سرور بن سليمان بن مهنا البعروبي..بيده..

1 - قصيدة الفتح والرضوان منشورة بديوانه أيضاً.

2 - هذه هي نظرة الشاعر إلى رسالة الشاعر ودور الشعر في النهضة، وقد حققها عملياً في شعره.

3 - يوافق 27 فبراير 1915م.

الشعر العُماني في حاجة إلى دراسة⁽¹⁾

الحركة الأدبيّة العُمانية بعامّة، والحركة الشعرية بخاصّة ضاربة الجنور في أعماق التاريخ، على نحو ما كان معروفاً عن الأزد وعبد القيس... كما كان لأسواق عمان الأدبية (صحار، عمان، دبا) دور كبير في دفع هذه الحركة إلى التطوُّر والازدهار.

وهو ما يدلُّ على المشاركة المتقدّمة في النشاط الأدبي العربي. ونتيجة لهذه الريادة، وهذه المشاركة المتقدّمة في الزمن، نبغ شعراء وأدباء عمانيون على مرِّ التاريخ. لكن الإهمال، وعوامل أخرى أنست الناس هذه الحقيقة أو غيّبتها عنهم. قال الدكتور علي بن عبد الخالق علي: «...وإن كان كثير من الباحثين أهمل الحديث عنهم، أو بيان أثرهم فضاء شعرهم ولم يبقَ عنهم إلاّ إشارات هنا وهناك، نستطيع من خلالها أن نتصوّر ما كان لهم من الشأن في الجزيرة العربيّة منذ القدم»⁽²⁾.

والشعراء العُمانيون أدّوا دوراً كبيراً في تسجيل تاريخ عُمان، كما تذكّر ذلك المصادر والمراجع، وكما تكشف عن ذلك الوثائق والنصوص. ولقد عبّر الشعر عن

1 - نشر المقال في مجلّة: النهضة، سلطنة عمان، عدد: 628، 28 شوال 1413هـ/ 20 أبريل 1993م، ص: 36-39.

2 - د/عبد الخالق عليّ: الشعر العُماني، مقوماته واتجاهاته الفنيّة، دار المعارف، القاهرة، 1984. ص: 25.

المراحل التي مرّت بها عُمان، وسجّل الدقائق والتفاصيل التي يحتاج إليها من يُؤرّخ لعمان الذي يشتكي ضياع تاريخه، هذه الحقيقة يُؤكد منها بالرجوع إلى مؤلّف المرحوم الشيخ محمد بن راشد الخصيي المسمّى: «شقائق النعمان على سموط الجمالان في أسماء شعراء عُمان».

لذا يجب الاهتمام بالكشف عن هذه النصوص، وجمع هذه المأثورات الشعرية للوقوف على هذه النهضة الفكرية والأدبية لهذا البلد، وكشف القناع عن الوجه الحقيقي لتاريخ عُمان.

إنّها مهمة منوطة بأعناق الشباب والمتخرّجين في المعاهد والجامعات ومراكز التكوين لأنّهم الأقدر على القيام بدراسات جادّة وشاملة.

الشعر العُماني - إلى جانب الوظيفة التاريخية التي أدّاها وما يزال يؤدّيها في تسجيل التاريخ - كان له حضور في الساحة الأدبية الحديثة والمعاصرة، وذلك في مشاركته المعنوية في التعبير عن القضايا العربيّة والإسلاميّة والإنسانية، وفي إفصاحه عن مشاعره الجياشة والصادقة نحو هذه المسائل ممّا يُبيّن أنّ الشاعرية لا تعرف كُتْمًا للمشاعر المتأجّجة والعواطف المتحفّزة للظهور، ولا تُعرف حلود الزمان والمكان.

نسجّل لهذا الشعر حضوره في هذه القضايا مشرقاً ومغرباً، وتبّع المستجدّات العربيّة الإسلاميّة والعالمية، رغم الظروف الصعبة التي كان يعيش فيها الشاعر العُماني، خاصّة قبل سنة 1970م. نذكر من بين هؤلاء الشعراء: أبا مسلم الرواحي، وعبد الله بن علي الخليلي، وعبد الله الطائي الذي أبدع كثيراً في شعر الغربة والحنين إلى الوطن، لأنّه مكث خارج وطنه عُمان حوالي ثلاثا وعشرون سنة، متنقلاً بين الدول العربيّة والإسلاميّة.

كما كان للشعر العماني نصيبه من خصائص الشعر المعاصر من حيث تطوُّر مضامينه وأشكاله، ومن حيث غناه من مميَّزات الشعر الحديث. فشاعر كعبد الله الطائي - الذي مات ولم يتجاوز الخامسة والأربعين من عمره - ترك من الآثار الأدبية ما يكشف عن عبقرية وعن شاعرية تبوَّه مكانة مرموقة بين الشعراء الكبار. فموضوعاته كانت متنوِّعة، ومرتبطة أشدَّ الارتباط بالواقع المعيش في الساحة العربية والإسلامية، وطموحه كان كبيراً في تطوير الكتابة الشعرية في عُمان التي عرفت - أحياناً - تزمناً وأحياناً بقاء أسير موضوعات معينة، وطريقة رتيبة في النظم. وقد حاول - مثلاً - كتابة القِصة الشعرية. كما كانت له محاولات «تحرُّك إطارها الموسيقي على نحو ينسبها إلى شعر التفعيلة الغني بالقافية» كما يقول الدكتور أحمد درويش، ويضيف الدكتور عن الطائي وشاعريته قائلاً: «وعندما ينظر إليه في إطار التاريخ العام للشعر العربي في منطقة الخليج العربي عامة، وعمان خاصة يعدُّ بكلِّ المقاييس رائداً في مجال اتساع الآفاق أمام الشعر العماني المعاصر من حيث ارتباطه بالشعر الخليجي، والشعر العربي عامة، ومن حيث ارتياده مواطن جديدة، وعزفه على أنغام لم تكن مألوفة بالنسبة له، وذوبانه في الحركة العامة للشعر العربي الحديث»^(١).

ألا تستحق هذه المحاولات الالتفاتة الجادة والمعالجة النقدية، والدراسات المعمَّقة لتسجيل قيم جديدة للشعر العماني؟

هناك خصائص وإشارات في الشعر العماني يحسن الوقوف عندها ملياً لمزيد

١ - دراسات عربية وإسلامية، ج٩: سلسلة أبحاث جامعية يشرف على إصدارها الدكتور حامد طاهر، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة: ١٩٨٩م، ص: ١٢٥.

الكشف عن الوظيفة التي يقوم بها، وعن المبادئ التي ينطلق منها ليكون ملتزماً ومسؤولاً عما يثبته من أفكار، وما ينشره من آراء تتماشى مع الأصالة، وتنسجم مع الاتجاه والانتفاء الذي يصدر هو عنه. يقول د. علي عبد الخالق علي: «كان استمداد الأدب العُماني لعناصر تكوينه معتمداً على الثقافة العربية في القرآن الكريم والسنة المطهرة والأدب العربي، وهذه الثقافة أوجدت شعر الحكمة والتصوف والمدائح النبوية، الذي يعتمد على القرآن والحديث، كما كان أبو نيهان، والعبيسي، وناصر الخروصي، وسعيد بن خلفان، وأبو مسلم الرواحي. فهؤلاء كانت نزعتهم دينية تصوفية، إلى جانب اشتغالها على آراء مختلفة للرؤية والصفات الإلهية، ونظرية الإمامة، والولاية والبراءة»^(٧).

يجب الانتباه إلى هذه النقطة، وإلاؤها حقها من العناية والتحليل والمناقشة.

في الشعر العُماني دلائل ثلاث تثبت أصالة هذا الشعر، بصفة عامة وهو ما يجب إبرازه، ولفت نظر الشباب إليه، حتى يسيروا على سنن أسلافهم، ويتبعوا سواء السبيل:

أولها: الولاء المطلق للعقيدة الإسلامية، والحرص على تجسيدها في الواقع المعيش، مهما تكن الظروف وتوالى الأحداث وتتعاقد التغيرات. وقد كوّن ذلك اتجاهها فكرياً يحمل هذه العقيدة والإيمان بالمبدأ. وهو ما يجب أن يتفطن إليه الشباب، الذين يغفون استلام الراية لاستكمال الطريق الذي خطّه سلفهم وأعلامهم وعلمائهم.

١ - في الشعر العُماني... مرجع سابق، ص: 58-59.

ثانيها: الشعور القويُّ والصادق بالانتماء لوطن هؤلاء الشعراء (عُمان).

ثالثها: الحبُّ الشديد والقويُّ للعرب المسلمين، والاعتزاز بالانتماء العربي الإسلامي.

هَذِهِ الدعائم الثلاث هي التي صبغت الشعر العُماني بصبغة الدعوة إلى الفكرة الإسلامية في تناول أيِّ موضوع، ومناقشة أيّة فكرة، وعرض أيّة قضية. عَلَى سبيل المثال نورد ما قاله الأستاذ أحمد الجدع في مفهوم الوطنية عند الشاعر عبد الله بن علي الخليلي: «فعندما يتحدّث شاعرنا عن موطنه عُمان نراه يمزج حبّها بحبّ العقيدة الإسلامية، وإنّك لتشعر بنغمة الفخر والاعتزاز عندما يشير الشاعر إلى هَذَا الارتباط الوثيق بين عُمان الوطن والإسلام العقيدة، وبخاصّة عندما يتحدّث عن تاريخ هَذَا الارتباط الذي يمتدُّ إلى فجر الإسلام الأوّل»^١.

نسجّل في الشعر العُماني معارضات أدبيّة جيّدة، ثمّ عن ذوق في الكتابة، وحسّ جمالي في النظم، وقدرة عَلَى المحاكاة، ومقدرة عَلَى الإبداع... وكانت لونا من ألوان الكتابة مارسه الشعراء العُمانيّون في مختلف العصور، بخاصّة عصر النهضة، نذكر من بين هؤلاء الشعراء، أبا مسلم الرواحي، عبد الله بن علي الخليل، وهلال بن سالم بن حمود السيابي، سعيد بن خلف الخروصي، أبا سرور... وقد عارضوا قصائد لابن دريد، والبحرّي، وابن زيلون، وشوقي، والبارودي وغيرهم.

يذكر الدكتور علي عبد الخالق علي أنّ هَذِهِ المعارضات كان لها دور كبير في تأصيل بعض الاتجاهات الفنيّة، التي أعادت للشعر العُماني رونقه وبهاءه، كما

١ - أحمد الجدع وعبد الله بن علي الخليلي، شاعر من عُمان، ط٣، ١٩٨٦هـ/ ١٩٨٦، دار

الضياء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ص: ٤٣.

كانت لها قيمة لغويّة أثرت الأدب العُماني. وكان لبعض المعارضات قيمة فكريّة متمثلة في بعث الشعر في الجانب الوطني، وإثارة الحماسة في النفوس للدفاع عن شرف الأوطان، وسقي شجرة الحرية بالتضحّيات والفداء^(٧).

في الشعر العُماني مختلف أنواع النظم من كتابة القصائد الشعرية إلى الأراجيز، والموشّحات، والمعارضات إلى الشعر الحر، والشعر المنثور إلى القصّة الشعرية...

مع كلّ هذِهِ الخصائص والمميّزات - وغيرها ممّا لم نذكره - التي تبرز الشعر العُماني مكانة مرموقة بين بقيّة الآداب، يبقى مجهولاً، بسبب قلّة الدراسات المعمّقة في مختلف جوانبه، بخاصة الدراسات الشاملة والتقدّية الفنيّة.

فكلّ ما قدّم للشعر العُماني، بعد الجمع والتحقيق - الذي هو في حاجة إلى إعادة النظر في طريقته - دراسات تعتمد على الوصف والعرض، وتكديس المعلومات، دون اعتماد مقاييس نقدية، ومعايير علميّة دقيقة للدراسة والتناول، أو تقديم شروح للمقطوعات الشعرية، تعليقات، وتقرّيزات، أو إبراز نماذج منها أو الاكتفاء أحياناً بجمع القصائد المتناثرة في كتاب، أو طبع ديوان مخطوط وتصديره بمقدّمة أو تقديم تسجيل فيه انطباعات خالية من النقد... ليقال بعد ذلك هَذَا عمل كاف للتعريف بالشعر العُماني. كلّ هَذَا عمل غير كاف، هناك عمل كبير ينتظر الباحثين والدارسين في الحركة الشعرية العُمانيّة ماله وما عليها.

يمكن في هَذَا الصدد أن ننوه بمجهود الدكتور علي عبد الخالق علي في دراسات الحركة الشعرية العُمانيّة من خلال كتابه: (الشعر العُماني مقوماته، واتجاهاته وخصائصه الفنيّة).

١ - يُنظر كتاب: الشعر العُماني... مرجع سابق، ص: 84.

فقد بذل الباحث مجهوداً كبيراً في رصد الحركة الشعرية العُمانية، وتطورها بشيء من الجدّة في التناول، والجلّة فيه. فقدّم بذلك خدمة جليّة للباحثين الذين يأتون بعده لإكمال المشوار الذي بدأه. واعتماد الطريقة العموديّة في الدراسة بدل الطريقة الأفقيّة التي اعتمدها الدكتور. وجبر النقص الذي تعاني منه دراسته وهوّ التعمّق في البحث وتبسيط بعض المناهج النقديّة على هذا الإنتاج الشعري الغزير. لكن عذر الباحث هو، خلوّ الساحة الأدبيّة والنقديّة من دراسات للشعر العُماني - باستثناء بعض المحاولات القليلة جدّاً - مع وفرة ما سجّل من أشعار وإنتاج عبر العصور. فمن مزايا الدكتور أنّه حاول رصد هذا التطور وتسجيل حضور الشعراء العُمانيين في الساحة الأدبيّة، والإشارة إلى بعض الخصائص الفنيّة والمعنويّة. بعد ذلك تأتي الدراسات الأخرى، التي تعنى بالجوانب المختلفة كما كشف الدكتور من خلال دراسته عن اطلاع الشعراء الكبير على الأدب العربي، بدليل تأثيرهم بمختلف الشعراء في مختلف العصور، وتمثّلهم لمعانيهم وأفكارهم وصورهم. وسجّل امتلاكهم لناصية اللغة العربيّة وفقه أسرارها، بدليل طريقة تعاملهم معها، حتّى ولو كان تعاملهم معها - أحياناً - تعاملًا قاموسياً متكلّفاً. غير أنّ هناك مأخذ ونقائص نسجلها على بحث الدكتور:

1- أهمل فترة ما قبل النباهة أي فترة ما قبل القرن السادس الهجري، وركّز كثيراً على الدولة البوسعيديّة على حساب الفترات الأخرى. مع اعترافه بأنّ الأدباء العُمانيين لم يكونوا غائبين عن الساحة الأدبيّة في مختلف العصور.

2- كان يكفي ببعض الشعراء في دراسته، وبعضهم يذكرهم ذكراً فقط. كأنّ هؤلاء وحدهم هم الذين يمثّلون الشعر العُماني. بل أحياناً يعيد النماذج نفسها في مختلف استشهاده وتجلياته. أمّا الشعراء المعاصرون، فلم يذكر سوى

اسمين أو ثلاثة، وشعراء القصيدة الحُرَّة لا ذكر لهم في بحثه. القارئ يفهم أنَّ عُمان لم تتوفر إلاَّ على شعراء قليلين، أو شعراء مقلِّين في إنتاجهم، أو هم كانوا دون المستوى، أو أنَّ إنتاجهم ضاع، يحتاج إلى البحث عنه. مهما تكن التفسيرات والتأويلات فإنَّ الدراسة ناقصة، لذا فالحاجة ملحَّة إلى إعادة النظر في الدراسات الأدبيَّة التي قلَّمت حول الشعر العُماني.

ج- من سليَّات هذه الدراسة أنَّها لم تكن شاملة، إذ لم يتعرَّض الباحث إلى نواحي المعجم الشعري، والموسيقى والرمز والاقتراسات إلاَّ لِمَأمًا، كما كان تناوله لجانب التصوير الفني مقتضبًا، وكان يغلب على البحث العرض دون النقد. بينما نسجِّل أنَّ فصل الأوزان والقوافي كان جيِّدًا، لو كتب فيه أكثر.

خلاصة القول إنَّ الشعر العُماني في حاجة إلى دراسة وتعمُّق في البحث للكشف عن القيم الفكرية والفنية التي يتوفَّر عليها، ولرَدِّ الاعتبار لهذا الشعر الذي هضم حقُّه، وهذه رسالة يتحمَّلها الشباب المثقَّف والجامعي.

التكفَّل بها يقتضي أمورًا منها:

1- الإيمان بأنَّ هذا التراث مكسب وكنز يجب الاحتفاء والاعتناء به، وإخراجه من الأماكن المضمون بها على النارسين والباحثين، وإنقاذه من الضياع بسبب أو بآخر.

2- الاقتناع بأنَّ كثيرًا من الجهود والدراسات التي يقوم بها البعض — وهم مشكورون عليها — تفتقر إلى كثير من الشروط العلميَّة: توثيقًا وتحقيقًا ومعالجة ودراسة. ممَّا يهيب بالشباب إلى استدراك النقص.

ج- إنَّ الدراسة الفنيَّة هي مرحلة ضرورية، بعد مرحلة الجمع والتوثيق والتحقيق، والدراسة الفكرية أو الموضوعية للكشف عن الوجه الحقيقي للنهضة الأدبيَّة.

4- لابدّ من التمرّس على البحث والدراسة والنقد، بل توسيع أفق الثقافة النقدية، لامتلاك الأدوات التي تساعد على الدراسة الجادة والجيدة.

5- الشعر العُماني في حاجة ماسّة إلى دراسة قضاياها، معجمه الشعري، جانب الرمز فيه، صورته، اتجاهاته، وخصائصه الفنية، موسيقاه... أي إعادة دراسته من جديد لأنّ الباحث في هذا الشعر تستوقفه أسئلة عديدة في حاجة إلى إجابات مقنعة مثلاً: ما الذي جعل الشاعر العُماني - عموماً - يتمسّك بالأسلوب العربي الرصين، وبالنهج الشعري الخليلي؟ لماذا يفسر نظم الفقه بالشعر لدى العُمانيين، إذ أحياناً تتجاوز للنظومة مائة ألف بيت؟ ما هو التحليل لهذا المسلك؟ ما هي إيجابيات هذه الطريقة وسليّاتها؟ لماذا يفسر إعجاب الشعراء العُمانيين بابن دريد مثلاً إلى درجة لافتة للنظر؟

كيف كان الشاعر العُماني يتعامل مع الأصالة والمعاصرة في كتابة الشعر؟ كيف كان يلام بين مخزونه ومحفوظه من الألفاظ والصور الشعرية، وبين من حوته من المشاعر وتجربته الخاصّة؟ كيف كان ارتباطه بوسطه الاجتماعي؟ كيف كان يعالج قضايا مجتمعه؟

لماذا قلّت الدراسات الأكاديمية والمعمّقة والدراسات النقدية في الشعر العُماني؟ ما هي الأسباب... إلى غير ذلك من الأسئلة والموضوعات التي تنتظر الفتى الذي يقول: ها أنا ذا أيّها السائل!!

عسى أن نرى في المستقبل القريب دراسات لشباب عُماني يتحمّل مسؤوليته في خزمة بلده: في أدبه وفكره، وما ذلك على الله بعزيز، وما ذاك على المجتدين للمخلصين، مستحيل. والله ولي التوفيق^(٧).

1 - الأستاذ: محمد بن قاسم ناصر بوحسّام، حلقة (الخراف)، 25 جمادى الأولى 1442هـ - 22 ديسمبر 1999م.

كتب ودراسات صدرت للدكتور محمد ناصر:

1. المقالة الصحفية الجزائرية (1903-1931) جزآن، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1978.
2. الصحف العربية الجزائرية (1847-1939)، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1980.
3. أغنيات النخيل (شعر)، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1981.
4. أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ط2، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1984.
5. عمر راسم المصلح الثائر، الجزائر: لافوميك، 1984.
6. مختارات من شعر الأمير عبد القادر، الجزائر: م.و.ك، 1984.
7. البراعم النديّة (شعر الأطفال)، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1984.
8. الشعر الجزائري الحديث: اتجاهاته وخصائصه الفنية (1952-1975)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985 (رسالة دكتوراه).
9. رمضان حمّود: حياته وآثاره، ط2، الجزائر: م.و.ك، 1985.
10. أخبار الأئمة الرستميين (لابن الصغير) تحقيق بالاشتراك مع إبراهيم بحّاز، ط2، الجزائر: جمعية التراث، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986.
11. ديوان أبي اليقظان، دراسة وتحقيق، جزآن، الجزائر: جمعية التراث، 1989.
12. حلقة العزّابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، ط2، الجزائر: جمعية التراث، 1989.

13. في رحاب القرآن (الشيخ إبراهيم يُّوض)، الجزائر: جمعية التراث، 1989.
14. مفدي زكرياء: شاعر النضال والثورة، ط2، الجزائر: جمعية التراث، 1989.
15. أعمال في الثورة للشيخ إبراهيم يُّوض: إعداد وتقديم، الجزائر: جمعية التراث، 1989.
16. محمد بن الحسن بن دريد، سلطنة عُمان، 1991.
17. الإمام عبد بن باديس (سلسلة أعلام الفكر)، الجزائر: 1991.
18. الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي، الجزائر: 1991، ط2، مؤسسة الضامري)، سلطنة عُمان، 1991.
19. ما أحوجنا إلى أدب إسلامي، سلطنة عُمان: 1992.
20. في رحاب الله (شعر)، الجزائر: 1992.
21. فيوض النور، سلطنة عُمان: 1992. أنوار من سورة النور، جمعية التراث، 1992.
22. من سلسلة القصص المربّي للأطفال، سلطنة عُمان: 1992:
1- في الاتحاد قوّة. 2- جزاء الإحسان.
23. دور الإباضيّة في نشر الإسلام بغرب إفريقيا، ط2، (معهد القضاء الشرعي) سلطنة عُمان: 1993.
24. مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلاميّة، حلقتان: إعداد، نشر: الاستقامة، سلطنة عُمان: 1993.
25. الأدب والنصوص للمرحلة الثالثة ثانوي (معهد القضاء الشرعي)، سلطنة عُمان: 1992.

26. الشعر الجزائري من الرومنسية إلى الثورية، (معدّ للطبع).
27. الصحافة الجزائرية في مواجهة الاستعمار، (معدّ للطبع).
28. تلخيص القسمة وأصول الأرضين، في فقه العمارة الإسلامية، لأبي العباس أحمد بن محمد بن بكر، تحقيق بالاشتراك مع الشيخ بكير الشيخ بلحاج باشعادل، مؤسسة الضامري، سورية، 1993.
29. أحيان وأشجان (شعر)، نشر جمعية التراث، الجزائر، 1995.
30. هموم جزائرية، (معدّ للطبع) دمشق.
31. تراثنا الإسلامي والعصر، مؤسسة الضامري، سلطنة عمان، 1994.
32. حدائث أم ردة، مؤسسة الضامري، سلطنة عمان، 1993.
33. خصائص الأدب الإسلامي، مؤسسة الضامري، سلطنة عمان، 1993.
34. الأصول العقدية للناشئة المحمدية، مؤسسة الضامري، سلطنة عمان، 1993.
35. الإباضية تاريخاً وفكراً، (معدّ للطبع)، سلطنة عمان.
36. الشيخ إبراهيم أطفيش (سلسلة أعلام الفكر)، (معدّ للطبع) الجزائر.
37. الشيخ أبو اليقظان إبراهيم (سلسلة أعلام الفكر)، (معدّ للطبع) الجزائر.
38. الشيخ محمد علي دبوذ والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1995.
39. القيم الإسلامية في نظام التعليم بوادي ميزاب، (معدّ للطبع) الجزائر.
40. مصادر البحث في العلوم الإسلامية، (معهد القضاء الشرعي)، سلطنة عمان، 1995.

41. منهج البحث وتحقيق النصوص (معهد القضاء الشرعي) سلطنة عُمان، 1995.

42. فواكه العلوم، تأليف عبد الله بن محمد بن عامر الحبشي، تحقيق بالاشتراك مع الأستاذ مهني التيواجيني، الأجزاء: 1، 2، 3، سلطنة عُمان: 1995.

43. وصية والده لولده العروس، جمعية التراث، القرارة، 1994.

44. أبو مسلم الرواحي «حسن عُمان» ط1، سلطنة عُمان: 1996.

45. دراسة في الشعر الجزائري الحديث (1925-1954)، (مخطوط)، بالاشتراك مع الدكتور محمد مصايف، والدكتور عبد المالك مرتاض.

46. حذائ بلا قناع، سلطنة عمان.

47. ديوان شعر باللغة المزيانية.

48. مسرحية بالعريّة الدارجة تحت عنوان: «رَبُّ وَلِيدِكَ قَبْلَ مَا يَقْرَأَ».

يضاف إلى كل ذلك أناشيد كثيرة باللغة العريّة الفصحى، والعريّة الدارجة واللغة المزيانية. ومقدمات لكثير من الكتب، ودراسات وبحوث ومحاضرات نشرت في الدوريات، وألقيت في مناسبات مختلفة.



المحتويات

3	مقدمة.....
5	نبذة من حياة الباحث.....
9	مع كتاب: أبو مسلم الرواحي، عرض وتعليق.....
14	• أبو مسلم أدبيا لامعا.....
19	• العقيدة في شعره.....
21	• الابتهاال في شعره.....
38	• الاستنهاض في شعره.....
43	• الحكمة في شعره.....
45	• الحنين في شعره.....
48	• الرثاء في شعره.....
50	• خصائص شعره.....
53	• إشارات مهمة.....
58	• نتائج الدراسة.....
59	• ملاحظات.....
63	الملاحق.....
	• الملحق رقم 1:
64	 فرع الحياة المقدسة
66	 في الذات الإلهية
68	• الملحق رقم 2: كتاب أبي مسلم إلى الإمام سالم بن راشد.....
83	• الملحق رقم 3: الشعر العماني في حاجة إلى دراسة.....
92	• الملحق رقم 4: كتب ودراسات صدرت للدكتور محمد ناصر.....

